كلمات

Kalimat

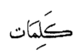
إيفا ساليس

الإبداع أدباً وسياسةً

Eva Sallis

Creativity in Literature and Politics

العدد الثامن عشر (عربي)، حزيران/يونيو 2004
Number 18 (Arabic), June 2004



Kalimat

تهدف كلمات إلى الاحتفاء بالإبداع وتعزيز التواصل الثقافي بين الناطقين بالإنكليزية والناطقين بالعربية، وهي مجلة ذات نفع عام، ولا تسعى إلى الربح. يصدر منها عددان باللغة الإنكليزية كل عام (مارس/آذار وسبتمبر/أيلول)، وعددان بالعربية (يونيو/حزيران وديسمبر/كانون الاول).

ترحب كلمات بكل المساهمات الخلاّقة، وترجو المساهمين إرسال أعمالهم **قبل أربعة أشهر** على الاقل من موعد صدور العدد الذي يمكن لموادهم أن تنشر فيه، مع إرفاقها بالعناوين ووسائل الاتصال كاملة، **بما في ذلك أرقام الهواتف**، ونسخة عن السيرة الذاتية للمؤلف/المؤلفة، أو بضعة أسطر تلخص منجزاته/منجزاتها.

تنشر كلمات النثر والشعر والدراسات والقصة والفنون باللغة العربية أو الإنكليزية وفق طريقتين أساسين:

أولاً ـ **المواد الاصيلة** التي لم يسبق نشرها مطلقاً بأية لغة.

ثانياً ـ **المواد المترجمة**، أو التي يتقدم بها المؤلف لتقوم كلمات بترجمتها. وهذه يجب أن تكون منشورة سابقاً بلغتها الاصلية، ولم تسبق ترجمتها. وتقدم كلمات خدمة الترجمة مجّاناً للذين تقبل أعمالهم. (الاعمال التي تأتي مترجمة سلفاً قد يتوفر لها حظّ أكبر بالنشر نظراً لضغط العمل لدينا.) يجب تزويدنا بالمرجع الذي تم النشر فيه، بما في ذلك اسم الناشر، والسنة، ورقم المجلد، والعدد في حال الدوريّات. جميع المواد المقدمة للنشر تخضع لتقييم قبل قبولها.

يحصل المتقدمون بأعمالهم الاصيلة إلى كلمات على الافضلية في إمكانية ترجمة أعمالهم لاحقاً ونشرها في كلمات أو مشاريع أخرى يتبناها الناشر. كما يتلقى من نشر في كلمات نسخة مجانية من العدد الذي تنشر فيه مادته. وتعتذر كلمات عن تقديم أية تعويضات أخرى.

الاسعار والاشتراك للافراد (بالدولار الاسترالي)

سعر العدد **20$** ضمن أستراليا ونيوزيلندة، أو **40$** بالبريد الجوي إلى أي مكان

الاشتراك السنوي (4 أعداد) **60$** ضمن أستراليا ونيوزيلندة، أو **120$** بالبريد الجوي إلى أي مكان.

(نصف القيمة للاشتراك بإحدى اللغتين فقط.)

للمنظمات والمؤسسات والمصالح التجارية ضعف القيم أعلاه في كل حالة

الإعلانات: نصف صفحة 100$، صفحة كاملة 200$

ترسل كافة الدفعات من خارج أستراليا بحوالة مصرفية بالعملة الاسترالية ويحرر الشك باسم Kalimat

المؤازرة (الرعاية المادية)

مفتوحة للمنظمات والافراد الذين يؤمنون بأهمية الرسالة الحضارية والجمالية للمجلة، مع العلم أنها لا تخوّل من يقدمها وضع أية شروط على كلمات، أو الحصول على أية حقوق أو مزايا، بما في ذلك أفضلية النشر.

تبدأ المؤازرة للافراد بمبلغ 400$ سنوياً، وللمنظمات والاعمال بمبلغ 2000$ سنوياً. ويحصل مقدم الرعاية على اشتراك مجّاني لسنة الرعاية، كما يحق له الإعلان مجّاناً مرة واحدة في السنة.

P.O. Box 242, Cherrybrook, NSW 2126, Australia.

GIFTS 2005
Dr./ Raghid Nahhas
Australia

ISSN 1443-2749

دوريّة عالميّة للكتابة الخلاّقة بالإنكليزيّة والعربيّة

An International Periodical of English and Arabic Creative Writing

كَلِمَات

Kalimat

العدد الثامن عشر (عربي)، حزيران/يونيو 2004
Number 18 (Arabic), June 2004

الكَلِمَةُ بابُ الإرثِ الحَضاريّ، والكتابَةُ مفتاحُ دَيْمومَتِه

المراسلة P.O. Box 242, Cherrybrook, NSW 2126, Australia.
هاتف وفاكس 61 2 9484 3648
بريد إلكتروني raghid@ozemail.com.au

...re the gate to cultural heritage, and writing is the key to its perm...

الطباعة Prima Quality Printing, Granville, NSW, Australia.
التجليد Perfectly Bound, Gladesville, NSW, Australia.

محتويات العدد

CONTENTS

نديف ثلج

القمر... أغنية إلى الأبد

هل القمر ذكر أم أنثى؟ يناجي الحبيب حبيبته، فيراها كالقمر. وتناجي الحبيبة حبيبها، فتراه كالقمر. ومعلوم أنه في التراث الأدبي العربي، يمكن استخدام ألفاظ الذكورة في وصف الحبيبة تحبباً، أو لضرورة الشعر! لكن المعلوم أيضاً أن القمر لفظ مذكر لغوياً. هذا في اللغة العربية. أما في اللغة الإنكليزية، فبالرغم من أن كلمةً مثل "القمر" لا تخضع للتذكير أو التأنيث من الناحية اللغوية، لأنها مع كل أسماء "الأشياء" تنتمي إلى فئة خاصة يستعمل لها ضمير خاص لايدل على تذكير أو تأنيث، إلاّ أن الشعراء مثلاً حين يشيرون إلى القمر يستخدمون ضمير المؤنث. القمر في الإنكليزية مؤنث، وهذا خلاف العربية. (الشمس في العربية مؤنث، بينما في الإنكليزية مذكّر.)

والجدل القمري لا يتوقف عند الاستهلاك اللغوي، والانبهار بالقمر لا يقتصر على الناحية الجمالية الرومنسية، ولا على الناحية الهندسية العلمية التي أوصلتنا إلى سطحه. ونريد فيما يلي استعراض لمحات من الذهنية الغربية حول القمر.

وفي هذا المجال كتبت آنجي شوفون[1] أن شعبية القمر لدى الفنّانين لا تعود فقط لجماله (أو جمالها) الغريب، بل أيضاً لما يشاع حوله من حكايا حول تدخله العابث [في حياة البشر]، الذي يمكن أن يكون قاتلاً في بعض الأحيان. 'وجوده في سماء الليل لا يجعله شاهداً فقط، بل شريكاً في جنون النشاطات الليلية.'

في إحدى قصائد سيلفيا بلاث، يُعطى القمر صورة الوحدة، والذنب، والاكتئاب القلق. وفي مسرحية شكسبير "حلم ليلة في منتصف الصيف" للقمر وجود دائم، يكون فيه شاهداً على عبث البشر. جاء على لسان "تاتيانا": 'يبدو لي أن القمر تنظر بعين دامعة؛ وعندما تبكي، تفيض دموعها بكل زهرة صغيرة.'

تتحدث آنا فينبرغ في روايتها "ضوء مستعار" (1999) كيف تشبّه "كاليستو" نفسها بالقمر: 'تأمل في حياة القمر. تتبع مسار كوكب، كأنها كلب برسّن؛ نفس المدار القديم، نفس الجوار المألوف. تمشي وتلتقط أشعة الضوء كأنها عظام رمتها النجوم. أنا قمر.'

عدد كبير من الأغاني الغربية تعرّض إلى فكرة غرابة القمر وعبثه وجماله. فهناك أغنية عن "القمر القاتل"، وأخرى عن "القمر الوردي" الذي سينال من الجميع. وتقول كلمات أغنية "شروق القمر الشرير" التي انتشرت عام 1969: 'لا تتجول هذه الليلة / لأنها ليلة ستودي بحياتك / فهناك قمر شرير يشرق.'

لكن أغاني الحب المتعلقة بالقمر لا حصر لها. فهذا فرانك سـيناترا يطير إلى القمر بسـبب قبلة

[1] الملحق الثقافي لصحيفة "سيدني مورنينغ هيرالد"، 27-28 آذار/مارس 2004، ص16.

(1964)، و"سافيج غاردن" مســتعد للطيران إلى القمر والرجوع إذا ماوافقت الحبيبة على أن تكون له (1997). أما فان موريســون فيتحدث عن "رقصة القمر" في ليلة 'تكون فيها نجوم العلياء في عينيكِ' (1970).

وتضيف آنجي شوفون، أن أروع أغاني الحب المتعلقة بالقمر هي أغنية "نهر القمر" كما أدّتها أودري هيبورن في فيلم "ترويقة عند تيفاني"، والأغنية في الأصل من أعمال هنري مانسيني وجوني ميرسر.

ونهجت بعض الأفلام السينمائية منهجاً مماثلاً للأغاني، كفيلم "المستذئب الأميركي في لندن" من إنتاج عام 1981، وفيه نجد العلاقة واضحة بين القمر والاستذئاب. وشبيه بذلك فيلم جاك نيكلسون "الذئب" عام 1994، والذئب هنا الإنسان المستذئب، الذي يرتكب الجرائم بتأثير البدر الساطع.

وعلى صعيد آخر يذكرنا فيلم "أبولو 13" (1995) بالجهد الذي يذهب إليه البعض لغزو القمر واكتشاف أسراره. والواقع أن غزو القمر خلق معضلة نفسية لدى الذاكرة البشرية التي تعودت فيما سبق الغزو أن تحمل الوجه الرومنسي الغريب للقمر. لكن هذه الصورة تشوهت في أذهان البعض بعد الغزو القمري. وبالرغم من ذلك رأى البعض الآخر أن القمر سيبقى محتفظاً بجلاله وجماله إلى الأبد برغم المخاوف، وليس أجمل من أعطانا دلالة على ذلك سوى قصيدة الشاعرة الصحافية الأسترالية (النيوزلندية المولد) إليزابيث ريدل، والتي قمنا بترجمتها ونشرها،[2] ونوردها هنا:

بعد لونيك اثنين

كأنها انعتاق من الحب، خضّة حزنٍ
ألمٌ معلومٌ، قلقٌ، وأسف
كما في نهاية الصيف، ريشة متألقةٌ
مرمية على العشب بعد رفرفة الطيور.

نوعٌ من قسوةٍ، وبعضُ عذاب
رِعْدَةٌ في الأوصال، لكن
طفا القمر الصافي وُريقةً تلك الليلة
رطباً، شاحباً، مألوف التقاسيم
ناصعاً بين نجومه والغيوم.

[2] رغيد النحّاس 1999. همسات الجنوب البعيد، ترجمة لمختارات من الشعر الأسترالي. دار الأبجدية، دمشق. بدعم من المجلس الأسترالي للآداب والفنون.

على خده ما كانت وقاحة السهم علامة
وما كشفت جرحه دمعة أو قبلة قرمزية
بل عبّرَ تخومَه المظلمة
إلى هاوية النهار الخضراء العميقة
ترافقه مخاوفي وأحزاني إلى كهوف النوم.

هذه القصيدة تركت أعمق الأثر في نفسي نتيجة لواقعيتها الممزوجة مع منتهى الرومنسية، وحين قرأتها وقمت بترجمتها كانت القشعريرة لا تغادر أعمق مسابر أحاسيسي، وذكرتني بوضع شبيه في تأثيره، حين كنت ليلة على مدرج بعلبك في لبنان أشاهد أعمالاً للرائعة فيروز والرحابنة العظماء. فجأة توقف كلّ شيء، وانطفأت الأنوار. سكون باهر خيّم على المكان. وبعد لحظات انطلق صوت فيروز وحده أولاً ثم تبعته الموسيقا: "نحنا والقمر جيران..." كان القمر بدراً ساطعاً فوقنا يُغسلنا بضوءه الممزوج مع عطر الصوت الفيروزي.

رغيد النحاس

اللحاف...

مستشار "كلمات" الأستاذ **نويل عبد الأحد** يقيم في الولايات المتحدة الأميركية، نتحدث هاتفياً كلّ أسبوع للتشاور في أمور المجلة، لكن الحديث غالباً ما يأخذ أبعاداً تتطرق إلى مختلف نواحي الفكر، وحتى شؤون وشجون الوضع الإنساني عامة والفكر العربي المعاصر خاصة.

يتميز عبد الأحد بخصائل شتّى يجمع فيها بين النظرة التحليلية الثاقبة واللمسة الإنسانية البديعة، سواء على صعيد حرفانيته كأديب وناقد ومترجم، أم على صعيد تعامله كإنسان وصديق. ولذلك صار صوته الراقي الذي يأتيني عبر المسافات ناقلاً وهج أفكاره، مصدراً هاماً لغذائي الروحي والفكري لأن حواراتنا تحرض الذهن، ليس فقط بإعطائه الشحنة المناسبة وإنما بدفع "محركاته" إلى مسارات فيها من التحدي ما يكفي لإعادة الشحن والحركة.

والجميل أن كلّ هذا يحدث في إطار من الطرافة والدعابة في كثير من الأحيان، فمرّة أرسلت له ترجمة لمراجعتها فقام بتصليح الأصل الإنكليزي، ظانّاً أنه الترجمة. واليوم جاءني صوت ضحكاته وهو يعلّق على هذه الحادثة التي جعلته يضحك في نفسه كثيراً. وكالعادة تطرقنا إلى الهمّ العربي العام فعلّقت بقولي إن من أهم الصفات المأساوية للذهنية العربية هو هذا "اللحاف" الذي يغطينا جميعاً فلا يجعلنا نرى عيوبنا ونعترف بأغلاطنا، بل نميل دائماً إلى اتهام، العدو ونؤثر نظرية المؤامرة على ضرورة إرساء قواعد الديمقراطية السليمة وتعزيز مبدأ المحاسبة.

ضحك كثيراً، وتعجبت إلى أن بيّن لي أن كلمة "اللحاف" أعجبته، وأنها قد تكون من أكثر الكلمات ملاءمة لوصف الحالة العامة.

وأريد أن أجعلك تضحك أكثر يا صديقي العزيز إذ أقول إن اللحاف يفيد أحياناً حين يقينا من البرد، أو حين يوّحد فيما بيننا بشكل إيجابي. واللحاف مفيد دائماً إذا كان مصدر رعاية وصيانة، وهو رائع حين يكون نخراً للتغطية الفكرية النيّرة شانه شانك أيها المستشار الكريم، فكم أحب أن أحس أنك لحافي! وكم هي محظوظة "كلمات" بتلك النخبة من الأغطية الفكرية والعملية الممثلة بالكتّاب والمستشارين والأنصار...

والطريف أيضاً أنه بعد برهة قصيرة من حديثنا الهاتفي حمل إلي الفاكس عبارات جميلة من ضمنها الكلمات التالية لعبد الأحد:

> يفتّق الحوار بصورة عامة، أذهان المتحاورين، ويفتح لهم مغاليق كانت ستظل مغلقة بدونه؛ إنه أشبه بحجر الصوّان الذي تُضرم نيرانه، حين يُقدح بصوّان آخر.
>
> لقد أذهلني وصفك العفوي عندما استخدمت كلمة "اللحاف". اللحاف الذي يغطينا جميعاً، فيحجب عن أعيننا عيوبنا، فلا نعترف بأغلاطنا. هذا اللحاف هو إرثنا الجماعي، نقدّسه على علاّته، على أخطاء ورثناها ممن سبقونا، نقدم لهم القرابين، دون تمحيص او نقاش... ننفخ فيه حياة جديدة – حياة مستقبلنا إياها – كما فعل آباؤنا من قبلنا، وأجدادنا من قبلهم، ثم نرتديه كزيّ، نفاخر به، ولا نقبل عنه بديلاً.
>
> العلّة المستحكمة في ذهنيتنا، كعرب، هي الماضي الذي انزرع في أذهاننا منذ الصغر. زرعته في صميم إدراكنا كافّة القوى المختلفة المتضافرة على استثمار لين تلك الطفولة، سواء أكانوا سياسيين فاسدين، أم رجال دين أفّاقين، وغيرهم ممن يحاولون الحفاظ على هذا "الإرث"— وسيلتهم الوحيدة، في استمراريتهم، بالاستثمار والهيمنة، والإبقاء على "ذهنيتنا العربية" مخدّرة ومشلولة.
>
> إذن نحن نتابع الماضي، نجتر تجارب ورؤى تطلعات آبائنا وأجدادنا، بعد أن دجّن المستثمرون فكرنا، ومكّنوا "الزمن" ضد "اللازمن"— رمز التجديد والتحوّل... فأُجبرنا – دون أن ندري – أن نسلك دروب "الامتثال" حتى غدا هذا الامتثال واقعنا بشكل لم نعد معه نقوى على رفضه، خشية مواجهتنا المجهول؛ أي اللاأمان.
>
> ولكن ما السبيل إلى تحررنا من هذا اللحاف، وتسيير دفته من الحالة السلبية إلى الحالة الإيجابية، بحيث 'يقينا من البرد، ويوحد فيما بيننا.'؟ أستأذن أخي الدكتور رغيد بأن أوجه الدعوة، نيابة عنه، إلى الأدباء والمثقفين، للإسهام في إبراز الأسباب التي من شأنها أن تحررنا من تلك "الذهنية" المحنطة.

كما جاءنا من مستشار "كلمات" الأستاذ **داميان بويل**، وكان ناشراً ومحرراً لمجلة أدبية تدعى "غاذرينغ فورس"، ولذلك نعتز بشهادته كثيراً، ما يلي:

SNOWFLAKES

نهنئكم على آخر عدد من "كلمات". مرّة أخرى، نعتبره مجموعة مذهلة. أنا معجب وأصفق لتصميمكم كناشر، ومهارتكم كمحرر. أجد نفسي بحاجة لمعرفة المزيد عن أبناء عمومتنا القادمين من وراء البحار. هل ترون من المناسب أن تتضمن مجلتكم موضوعات أكثر عن موطنكم الأصلي؟ طبعاً قدمتم لنا الكثير من هذه المعلومات عبر "نقطة علاّم"، وبعض القصائد، لكنني أتساءل فيما لو كان من النافع نشر بعض المقالات الصحفية بهذا الخصوص. نحن الأستراليين بحاجة لتعلم الكثير.

لكم كلّ تشجيعي، آملاً دوام تقدمكم.

لك خالص شكرنا أيها الوفي الكريم، ولا بد من التذكير أنك وأمثالك من المستشارين من يجعلنا نسير قدماً. فليس أحب إلى قلب المحرر من مستشار من أمثالك نرسل له المادة فيعيدها مع تعليقاته خلال يومين. كل هذا دون مقابل، بل تعطونا المزيد من التشجيع والعون.

رحبنا بالمقالات الصحفية منذ البداية، بل كلفنا بعض المتحمسين أن يقوموا بذلك، ونشرنا بعض هذه المواضيع القليلة الصالحة، لكن الإصدارات الإنكليزية لم تستوف حقها في هذا المجال. ونحن هنا نكرر دعوتنا لمن يرغب في تقديم مثل هذه المواد خصوصاً إذا كانت مشفوعة بالصور. ولا بد من التذكير أن "كلمات" هي مجلّة للكتابة الخلاقة، أي أن المقال الصحفي يجب أن يتحلى ببعض النفحة الأدبية والأصالة، وإلا فمن الأولى أن يُرسل للصحف لأن لكل وسيلة دورها.

كما نذكر بوجود كثير من هذه المقالات منشورة باللغة العربية، فحبذا لو يقوم البعض بترجمتها وإرسالها إلينا، فالترجمة جزء هام مما تقوم به "كلمات"، لكننا لا نريدها أن تقتصر علينا.

الإلهام، وليس التنافس فقط

من أفضل ما سمعت هذه الفترة، مقولة عن الموسيقار بنجامين زاندر، وهو قائد أوركسترا معروف بأسلوبه المختلف في تعامله مع تدريب عناصره، وشاهدته على التلفاز ينتقل بين الموسيقيين، يحرّضهم بحركاته ورقصاته وأصواته. فهو ليس القائد الذي يحبس نفسه على سدة عالية، ويقتصر على حركات يديه، وينتظر أن تقوم عصاه بفعل السحر والعجائب في إنجاز تلامذته. وفوجئت أن بعض شركات ومؤسسات الأعمال الراقية تدعوه الآن ليلقي محاضرات على مدرائها وموظفيها في أسلوب الإدارة التي تحسّن من الأداء. ومختصر فلسفته أن التنافس الذي لا يمكن نكرانه، لا يجب أن نخضع له كأساس وحيد في دفع الأداء قُدماً، بل هناك ما هو أهم، الا وهو "الإلهام". أي أن يكون القائد قادراً على إلهام الآخرين ونقل الروح الإيجابية لهم. أي لا يكفي أن يكون القائد مُلْهَماً، بل لابد أن يكون مُلْهِماً أيضاً.

وأستطيع بكل اعتزاز أن أقول إنني خلال حياتي المهنية كرئيس لمجموعات وأقسام ومدير لفروع ودوائر كنت دائماً على طرف نقيض مع كثيرين من زملائي في الإدارة لأنني كنت أؤمن بضرورة الإدارة الإيجابية، لا السلبية. وتولدت لدي هذه الأفكار خصوصاً في مواجهتي مع نظام الإدارة الأسترالي الذي يستخدم التنافس بصورة سلبية، برأيي، فمثلاً حين يتم اختيار الموظفين، تجري عملية تصفية يشار إليها بكلمة "culling" وهي نفس الكلمة المستخدمة حين يتم التخلص من الحيوانات المريضة والإبقاء على السليمة. وفي هذه الطريقة يخضع المتسابقون لنفس الأسئلة (بدعوى المساواة بين الجميع)، ثم تتم "الغربلة" باختيار من أجاب بالطريقة المحددة المطلوبة. هذه الطريقة تتغاضى عن أهمية الفروقات بين البشر وبين كفاءاتهم، وعلى ضرورة امتحان الخصوصية المميزة لكل متسابق. أما طريقتي فكانت تعتمد على دراسة السيرة الذاتية لكل شخص، وتكوين مجموعة من الأسئلة تساعدني في اكتناه قابليته على تحقيق ما يدعيه. هذه الأسئلة لا يمكن أن تُطرح ذاتها على شخص آخر كانت له خبرات أو أساليب مختلفة. وبما أننا كلنا نتمتع بالإيجابيات والسلبيات، تنهج الغربلة السائدة نهج اكتشاف السلبيات لتحقيق نتيجة سريعة في عملية الاختيار. لكني أعتقد أن الاختيار يجب أن يكون إيجابياً، أي أن يتعدى منطق الغربلة بحد ذاته إلى التبصر بالمزايا التي يمكن للشخص تقديمها أو تطويرها.

ولا أستغرب أبداً أن قائد أوركسترا هو الآن من يعلّم الإداريين أسلوب حُسن الإدارة. المتتبع للأفكار التي نعرضها بين الحين والآخر في "كلمات" يعرف رأينا في منطق "الشمولية" الحياتية، وأن الأدب والفن والعلم مثلاً لا يمكن بالنتيجة عزلها كلّ على حدة، فلا بدّ للأديب الناجح من أن تكون لديه بعض لمسات الطريقة العلمية، ولا بدّ للعالم الناجح أن يكون لديه بعض اللمسات الفنية.

هذه الأفكار القديمة الجديدة تؤكد لنا أن التخصص هو أسلوب "عملاتي" في التركيز على جزء من المهمة الحياتية للإنسان، لأنه لا يمكن لفرد واحد أن يلمّ بكل شيء. لكن "الإلهام" الحقيقي (تأثراً وتأثيراً)، يعني أن لا ينغلق الإنسان في تخصصه ويعمى عن أهمية التواصل مع الآخرين.

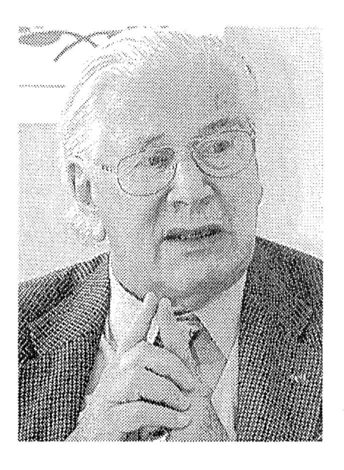
وهنا تحضرني ابتسامة صديق عزيز فيه من روح الشمولية أشياء كثيرة، ظهرت لديه مبكرة حين كنّا على مقاعد المدرسة، وكنا نذهب ليلاً لدراسة اللغة الإنكليزية في "دار اللغات" بدمشق. كان صديقي يهوى الهندسة التي قرر أن يتخصص فيها، وكان يعلم اتجاهاتي نحو العلوم الحيوية. ذات ليلة تطرق درس اللغة الإنكليزية إلى بعض الأجهزة الطبية. وحين كنا عائدين سيراً على الأقدام نحو منزلينا، بادرني بقوله وعلى وجهه ابتسامة إعجاب وانتصار، ما معناه أنه قرأ مؤخراً بحثاً بعنوان "الهندسة في الطب"، يتطرق إلى آخر ما توصلت إليه العلوم الهندسية في تحسين وسائل التشخيص والقياس والعلاج الطبية. لن أنسى أبداً وجه صديقي الدكتور المهندس محمد فريز عابدين الذي لقنني درساً من أوائل دروس "الشمولية" في مساء ليلة من ليالي دمشق في أواخر الستينيات من القرن العشرين.

رغيد النحّاس

أصدقاء دون لقاء...

'كنت مخطوباً للضحك دون رجعة، فصوت الضحك بالنسبة لي هو أكثر الموسيقا مدنيّة في الوجود.'
بيتر أوستينوف

هل أتاكم حديث الحب من طرف واحد؟ شبيهٌ به الصداقة من طرف واحد. هكذا كان شأني مع شخصيتين لامعتين من شخصيات القرن العشرين انجذبت إلى كل منهما بطريقة خاصة ولكن بنفس المستوى من التقدير والإعجاب، دون أن تتاح لي فرصة لقاء أيٍّ منهما. ومع نهاية آذار/مارس من هذا العام صُدمت، مع آلاف المعجبين بهما، برحيلهما خلال نفس الأسبوع.



رحل الكاتب والممثل البريطاني بيتر أوستينوف عن اثنين وثمانين عاماً في سويسرة. ويعتبر أوستينوف واحداً من أبرع من يروي القصص، وكنت أحترم فيه تلك القدرة البارعة على المزج بين الهزل والجد في المواقف الإنسانية، بطريقته الساخرة، مسخّراً أسلوبه الأدبي في التعبير، بدعم من تكوينه الفيزيائي سواء على صعيد تقاسيم وجهه وبنية جسمه، أم على صعيد التعابير التي جادت بها تقاسيمه لفظاً وإشارة وحركة. كل شيء فيه كان مميزاً: الشكل والصوت والحركات.

خاض أوستينوف حياته العملية على مدى ستين عاماً، ظهر خلالها في أكثر من سبعين فيلماً سينمائياً. بلغت شهرته أوجها حين قام بدور التحري "هرقل بوارو"، شخصية أغاثا كريستي التي مثّلها في أفلام مثل "موت على النيل".

لكن ترشيحه الأول للأوسكار كان قبل ذلك بكثير، ونتيجة لقيامه بدور الإمبراطور الروماني "نيرو". وحصل على الأوسكار مرتين عن دورين غير رئيسيْن: الأول عن فيلم "سبارتاكوس" (1960)، والثاني عن فيلم "توبكابي" (1964).

كان أوستينوف شخصية مسرحية غير عادية، ساعده على ذلك إتقانه لست لغات، وبراعته في

المحاكاة. كتب أولى مسرحياته عندما كان في الثامنة عشرة، وأخرج أول أفلامه عندما كان في الرابعة والعشرين. كتب عديداً من المسرحيات، كان أشهرها "حبّ أربعة عُقداء"، وركّز منذ الستينيات على الأفلام السينمائية، لكنه لم ينقطع عن كتابة الرواية والظهور على المسرح في أداء منفرد يشدّ أنفاس المتفرجين. يقول عنه الناقد جايمس أغاتي: 'أوستينوف مَضروبٌ بشيء لا بد أنه العبقرية، لأنه لا يمكن أن يكون مجرد الموهبة، ذلك أن أولى مواصفات الموهبة هي العناء، وأنا أعتقد أن أوستينوف لا يتكبد أي عناء.'[3]

شغل أوستينوف مهمة سفير للنوايا الحسنة مع برنامج الأونيسكو لصندوق دعم الأطفال، لمدة أربعين عاماً.

وُلد أوستينوف في لندن، من أصول روسية وألمانية وإيطالية وفرنسية. قال مرّة: 'يصعب عليّ الشعور أنني بريطاني.' وقال في حديث آخر: 'حين أفكر في وضعي، أميل إلى الاعتقاد أنني قذر إثنياً— والوقع أنني فخور بذلك.'



'اكتشفت مبكرّاً أن فنّ الإذاعة هو في السيطرة على التشويق. بغض النظر عمّا تتكلم عنه – الزراعة، الاقتصاد، الجريمة – إنما أنت تروي قصة. إذا تفوهتَ بعبارة مملة، فمن حقّ المستمع أن يغلق المذياع.'

اليستر كوك

ورحل عنا أيضاً "أليستر كوك" عن خمسة وتسعين عاماً، متوفياً في منزله في نيويورك. وابتدأت "صداقتي" معه حين كنت مثل آلاف المعجبين بحديثه، أتابع باستمرار برنامجه "رسالة من أميركا" الذي تبثه دار الإذاعة البريطانية "بي بي سي". كان بالاضافة لعذوبة صوته الإذاعي وحرفانيته في العمل، ينقل رسالته عن أميركا مع تفهم عميق للنفس الإنسانية والحياة الاجتماعية، مما كان يجلي بصيرتنا ويقوّي فهمنا لهذا العالم. ولهذا كان أكثر من مجرد باني جسور للتفاهم بين جانبي الأطلسي.

أدرك كوك منذ البداية أن البرامج الموجهة كلامياً إلى المستمع يجب أن لا تعتمد فقط على قراءة ما هو مكتوب على الورق بصوت عال. وكان من بين القلائل الذين لاحظوا أن هناك 'مهنة جديدة، الا

[3] عن مقالة نشرتها "سيدني مورنينغ هيرالد" في عدد 2004/03/30، مستقاة من وكالات رويتر والوكالة الفرنسية للانباء.

وهي الكتابة من أجل الكلام. وخلال نصف القرن الذي تلى، جعل من هذه المهنة فناً بحد ذاته.[4]'

كوك البريطاني، اكتسب الجنسية الأميركية عام 1941، بعد أن سبق له الوصول إلى الولايات المتحدة عام 1932 ليدْرس الفن المسرحي في جامعة "ييل" الشهيرة.

انضم إلى هيئة الإذاعة البريطانية عام 1934، وبدأ برنامجه "رسالة من أميركا" عام 1946، واستمر في عمله إلى أن تقاعد في بداية شهر آذار/مارس من هذا العام، أي قبل وفاته بأقل من ثلاثة أسابيع. وهكذا يكون برنامجه أطول مسلسل إذاعي في التاريخ.

بالإضافة لعمله الإذاعي، عمل في التلفاز الأميركي وغبّر أحد برامجه التلفازية 'وجه التلفزة الأميركية في الخمسينيات...'

يترك كوك وراءه زوجته الثانية وابنتيه.

رغيد النحّاس

شكراً وديع فلسطين

ننشر على الصفحة التالية رسالة من الأستاذ وديع فلسطين كما جاءت بخط يده. ونتقدم له بالشكر الجزيل لمشاعره وتفهمه لأهمية المجلة ومقدار الجهد المبذول، ونؤكد له وللقراء إيماننا بأهمية الدور الذي تلعبه "كلمات" (مع تواضعه) على الصعيد الفكري والجمالي، بنفس الوقت الذي تسعى فيه لجعل هذا الدور مهمة أساساً من مهمات التواصل البشري في هذا الزمن الذي انتُهك فيه الفكر والعدالة ومقومات الحرية والديمقراطية، من قبل فئة قليلة تتحكم بالعالم، متسترة بنفس هذه القيم، وداخل ثوب شرعية الدولة، تسخر الجيوش في عمليات إرهابية منظمة متعمدة، وتخلط بين الذين يقاومون ويدافعون عن أرضهم المغتصبة وبين المرتزقة الذين كانوا يوماً ضيوفاً على موائدها، وربما لا زالوا اليوم يتشاركون معها في تجارتها. ما أصعب موقف الذي اتخذ الفكر وسيلة للوجود، وسلاحاً للبقاء، حين يكون العالم ملتهباً بكل شيء سوى الفكر. عندها يبدو هو صامتاً ساكتاً، لكننا نؤمن أن الغلبة ستكون للعقل في آخر المطاف، مهما طال الزمن، وأن الصرخة الصامتة في الأعماق ستسحق يوماً جبروت النافهين. العالم الحر بحاجة لوسائل اختراق ثقافي كـ"كلمات" بالإضافة لكل الوسائل العلمية والتِقانية والدبلوماسية. بالفكر وحده نستطيع شحن الرأي العام العالمي بحقيقة الأمور، لأن الخطوة الأولى هو أن نجعله يصغي إلينا، ثم أن يكون فعلنا فيه طويل الأمد ناتجاً عن قناعته بمصداقيتنا.

[4] من تعليق للصحافي بن نايت من هيئة الإذاعة الأسترالية.

القاهرة في الثالث والعشرين من ديسمبر ٢٠٠٣

الأستاذ الفاضل الدكتور رغيد النحاس
دام في أحسن حال من الصحة والعافية مع كل أعزائه

أكتب إليك لأشكرك على إهدائي مجلة "كلمات" التي من خلالها تؤدي رسالة جليلة للأدب واللغة العربية في القارة الأسترالية وبين المهاجرين.

وإن الجهد الذي تقوم به هو جهد كان ينبغي أن تضطلع به هيئة رسمية من الهيئات الكثيرة عندنا التي تحجب وجه الشمس، أو في القليل، أن تقوم هذه الهيئات بمؤازرة العمل الجليل الذي تنهض به مجلة "كلمات"، وكنا إلى عهد قريب نعرف وزارة للهجرة ضمن التشكيل الوزاري، وكانت تهتم بالتواصل مع المهاجرين في بقاع الأرض، ولكن رُئي إلغاء هذه الوزارة لعدم أهميتها!

وقد أسعدني كثيرًا أن أطالع في "كلمات" مقالات وقصائد لأدباء يعيشون في أستراليا وفي خارجها، لأن المجلة تشكل جسرًا للتواصل بين الوطن والمهجر، وآمل أن تشارك المهاجر في حمل عبء هذه الرسالة السامية دون أن تنوء تحت وطأة الأعباء.

وإذ أكرر شكري على هذه الهدية اللطيفة، يطيب لي أن أهنئك مع كل محبيك بمقدم العام الجديد، عسى أن يكون عام رخاء وسلام وحب لنا جميعًا.

مع احترامي ومودتي
المخلص

أسترا وارن

طلّ وشرر

الدائرة المغلقة

كل مساء أراقب الشمس تنزلق ببطء نحو حافة العالم. أشكال ملتوية لأشجار الأوكاليبتوس العتيقة تنبثق من السهول المنتفخة بالمراعي الجافة، وتقف سوداء كالنقوش قبالة شفق شمسِ آخر الصيف. أخر أشعة الضوء المتطاولة تضربُ أكوام الحجارة المرصوفة في أشكال غريبة منتظمة تكريماً لإله أجنبي.

من الوديان جانب النهر، من مسافات سديمها عند المساء، من خفقات الأوراق التي تهمس بحلول برودة الليل، تنجرف أشباح السكان الأوائل، بالكاد يمكن تمييزها عن الغسق. أرتجف، حين تمرّ تلك اللحظة وكأنها ستار يُسدل فوق نافذة تطل على عالم آخر.

أنا تلميذة في السنة الجامعية الثالثة، أتخصص في التاريخ الحديث. كانت تلك عطلتي الثانية التي أعمل خلالها لدى مفوضية التراث، كمرشدة أبوريجينية. حين عرضوا علي "نيو نورشيا" للموسم السياحي، اغتنمت الفرصة. كانت جزءاً من مناطق دراستي، فيما يتعلق بفترة عدم الاستقرار الديني الأوروبي حين اضطر الكاهن الرائد "سلفادو" أن يغادر أسبانيا إلى إيطاليا، ثم جاء بكل حماس المبشرين من روما إلى هذا المكان النائي.

سبق لمفهومه الطموح في إنشاء "جزيرة" من المدنية الأوروبية في قلب الأحراج الأسترالية، أن أدّى إلى ظهور هذه البلدة المقدسة الغريبة؛ أشكال معمارية أسبانية غريبة مغروسة هنا من عالم آخر، تهيمن دون أن تقهر وجه أرضٍ بدائية.

كانت صرحاً شاهداً على حماقة الغزاة في محاولتهم تغيير معتقدات بني قومي القديمة. بالرغم من أن دمي الآن مغشوش لدرجة أن من يراني يعتقد أنني إيطالية أو يونانية، لازالت نار أسلافي تجري قويّة في عروقي. مثلنا مثل أرضنا، ثبتنا ولم ننهزم.

وهكذا راقبت مرور هذا الصيف الطويل، والسواح يحضرون ويغادرون، وأجراس الدير تعلن عن تتالي الساعات في أرض سرمدية. سبق أن مُلئت الأبنية بأشباح ماتت منذ وقت طويل. وتجولت في المقبرة أقرأ ابتهالات أسماء أجنبية من أماكن بعيدة، كلّ مات هنا بأسى دون جدوى بعيداً عن موطنه.

دوري اليوم كان مع جولة الساعة الحادية عشرة قبل الظهر. حين قدّمت نفسي للمجموعة التي كانت تنتظر خارج المكتب السياحي، استطاعت عيني الخبيرة أن تستعرضهم؛ مجموعتان عائليتان

مع أولاد بدأوا المشاكسة في هذا الجو الحار، زوجان متقدمان في السن سيحتاجان للرعاية في الأماكن الوعرة، شباب ممن يسافرون وعتادهم على ظهورهم بسراويلهم الجينز المقطعة التي تكشف عن سيقانهم البرونزية ، وزوجان آخران. تلاميذ، ربما؟

لم تتح لي فرصة التحدث إليهم إلاّ بعد الوقفة الرابعة على الدرب المخصصة للمسير.

أعلنتُ لهم: 'هذه هي مطحنة الدقيق القديمة. تم بناؤها في الخمسينيات من القرن التاسع عشر...' ثم ذهبت للتحدث.

ارتفع البناء القديم صامداً في بحر من الغبار والعشب الذي جففته الشمس. النوافذ في الطبقة الأرضية مغلقة بألواح، وتلك التي في الطبقة العلوية كانت مشدوهة ترمق السهول المتموجة التي كانت يوماً تزوّد البناء بأسباب وجوده.

انتظرت حين كانت المجموعة تسترق النظر من خلال شقوق الباب المكسو بألواح الخشب. أنا وحدي التي سمعت جلجلة وقضم الأحصنة المتململة في المسلات الكبيرة، وشممتُ الحبوب المغبرة.

أما الرائحة المنتشرة الآن فهي رائحة البول، حيث أراحت الكلاب الغازيّة والبشر المستهترون أنفسهم قبالة الحجر العاري الذي لازال خشناً من يد النحّات.

لكن الفتاة كانت تنال مني. تمسكت بكلّ كلمة، وبقيت قريبة مني وكأنها كانت تبلع وتهضم كل كِسرة من المعلومات.

وهكذا انتهيت إلى جانبها حين مشينا تحت الأشجار الأجنبية المستوردة؛ أشجار بطيئة الرسوخ، مثل الليلك، والصنوبر الأسكتلندي، والجاكاراندا.

'مرحباً. من أين أنت؟'

أطلقت عيناها ابتسامة للأعلى نحو الرجل الطويل جانب كتفها.

'سيدني.'

'ولكن بلهجة مثل لهجتك؟'

بقبقت ضحكتها، وتمايل قُرطاها مع الصوت.

'أنا من إيطاليا. اسمي ماريكا. ستيفان يوغسلافي. جئنا إلى أستراليا لنجد عملاً، ولكن لا يتوفر أي عمل لبيولوجية مثلي في سيدني. كان ستيفان يعمل – مهنته برمجة الحاسوب، لكننا أردنا رؤية المزيد من أستراليا قبل أن نستقر...'

استمرت في الكلام إلى أن وصلنا إلى الكاتدرائية. حين دخلنا، تبدلت الأرض الجافة، ورائحة العشب اليابس الناتجة عن صيف طويل، بعبَق البهارات العفني الذي خلّفته أجيالٌ من المتقين. كان كلّ جيل يصبح، على طريقته الخاصة، تقْدمةً من البخور للإله الذي آمن به أيّاً كان. ركعت ماريكا للصلاة، ليس بطريقة معظم السيّاح الواعية للذات، وإنما في مُصلّى جانبي، بهدوء، كأنها تنجز عادة كانت جزءاً من حياتها.

شعرت، بعد نهاية الجولة، أن خيطاً خفيّاً كان يشدني إليها. وحين بدأت المجموعة تتفرق، لامستُ ذراعها بصورة عفوية.

'إسمعي، أتناول غذائي عادة في الحانة. هل تودان مشاركتي؟ سأطلب لكما بيرة من صنع غرب أستراليا.'

ابتسما بالقبول، وبعد أن شطّبت اسمي في المكتب، مشيت إلى الحانة، لأجدهما يجلسان على طاولة تحت رواق فخم ذي أعمدة وأرض رخامية.

أثناء الطعام، تحدثت ماريكا باستمرار عن البيت، والأصدقاء، وتجربتهما في سفرهما بالسيارة عبر هذه القارّة. كان ستيفان دمثاً، قليل الكلام، راضياً أن تقوم ماريكا بهذه المهمة. كانت تحاول بشدة أن لا تشعر أنها غريبة في أرض غريبة، لكن نشاطها وحيويتها لم يسعفاها. تماماً مثل الأبنية المزخرفة التي كانت تحيط بنا، وتعلن غربتها عن سكونٍ يتنفس بالحياة في قلب المناظر الطبيعية الأسترالية.

أخيراً قالت،

'أفترض أنكِ تتساءلين لمَ أتينا إلى هذا المكان؟'

'الحقيقة...' ترددت في إجابتي ولكن كان هذا في الواقع السؤال الملّح في ذهني. ثم فسّرت لها،

'معظم السياح يأتون هنا عن طريق الصدفة، أو يأتون من ضمن الولاية. فهذا المكان ليس محجاً للسياحة العالمية.'

'يسعدني أن أقول لك إن جدّتي كانت أسبانية وولدت في "غاليشيا". كما تعلمين، المكان الذي أتى منه "روزيندو سالفادو"؟ أتت من إسبانيا إلى إيطاليا لتعتني بي بعد أن صُرع والديّ في حادث سيارة. أسمعها تتحدث عنه وكأنه أخوها. كان من "توي"، القرية المجاورة، وخلال طفولتي كنت على علم بالكاهن العظيم الذي أحضر المسيح إلى أستراليا السوداء الوثنية.'

ذُهلت لكلامها، ولكن تصميمها على الكلام جعلها تغفل عني.

'ولذلك حين كنّا في السيارة، قلت لستيفان، إتبع هذه الطريق وسأتمكن من رؤية مآثر روزيندو سالفادو، إكراماً لجدّتي. أرى في المقبرة أسماءً مألوفة، ولذلك أحس أنني في بلدي.'

تابعنا حديثنا لفترة، ولكنهما أرادا الرجوع إلى "بيرث"[1] قبل حلول الظلام. أعطيتهما عنواني ووعدا أن يداوموا الاتصال.

ثم دفعني فضولي لمرافقتهما إلى موقف السيارات ليستقلاّ سيارتهما الـ"فولكس فاكن" البالية، وافترقنا.

ذلك المساء، وأنا أراقب الغسق يستردّ البلدة ببطء، رأيت رجل شرطتنا يتجه بسيارته خارج البلدة، وينطلق مسرعاً على الطريق باتجاه "بيرث"، ليلحقه مباشرة عويل سيارة الإسعاف. لم يكن هذا أمراً غير معتاد؛ فحدود السرعة القصوى المعمول بها على طرقات بُنيت أصلاً للخيول والعربات، كانت وصفة للكوارث.

في وقت لاحق في بار صالون الحانة، حيث يتجمع معظم السكان المحليين يتسامرون بأحاديثهم الليلية، أتى بيتر وجلس بتعب على أحد كراسي البار. سحب النادل كأساً كبيرة من البيرة ووضعها أمامه وهي تُزْبِد.

---

[1] عاصمة ولاية غرب أستراليا.

'ليلة قاسية يابيتر؟'
أخذ الشرطي جرعة طويلة فيها من الامتنان الشيء الكثير.
'اصطدام مقدمتين آخر، على تلك الهضبة الطويلة النازلة. يبدو أنهم سيّاح. بائس عديم الصبر حاول تجاوز شاحنة عند الخط الأبيض المزدوج وهو يتجه نزولاً. الـ"فولكس فاكن" صارت حطاماً.
توقّف العالم عن دورته.
'فولكس فاكن،' قلت. 'ما لونها؟'
'أبيض. لكنك لن تلاحظي ذلك مع كلّ الدم الذي يغطيها. واه! هل أنت بخير، يا بنيّة؟ أمسكوا بها، يا ناس.'
'كلاّ، أنا بخير. لكني أعتقد أنهما من كانا في مجموعتي السياحية هذا الصباح.'
'في هذه الحال، أريد منك إفادة يا كايلي.'
'نعم، ولكني لم أتحدث إليهما طويلاً، ولا أعرف الكثير.'
ولكني تحدثت. كنت أعلم كلّ شيء عن ماريكا وكأنها ظلّي، ذاتي الأخرى.

لاحقاً، ذلك الأسبوع، وحين وقفت في المقبرة حين كانت النعوش تُنزل إلى الأرض المقوّاة بالحديد، عرفت أن الماضي يحيا. عادت ماريكا إلى موطنها.
أُغلِقَتْ الدائرة.



أسترا وارن كاتبة من غرب أستراليا. النص الإنكليزي الأصلي للمادة أعلاه سبق نشره كما هو مبيّن أدناه.

Astra Warren is an Australian writer who lives in Western Australia. The above is titled "Closed Circle", and was originally published in a local literary magazine, "Reader's World" then selected as the closing story in Women Writers of W.A. millennium anthology "Footprints" (2000). Translated for *Kalimat* by **Raghid Nahhas**.

عزّت صبّاغ

سقّانة

العصافير والكلاب

الصمتُ للمفكرين الإنسانيين العلمانيين، المنكبّين على الإمعان في الفوارق والفجوات والمفارقات والتجاوزات على كلّ صعيد، هو فترة استراحة لالتقاط أنفاسهم، قبل أن تعاود الكآبة الإطباق على صدورهم، ليعاودوا مجابهتها بالمتابعة وببناء الافكار وبالتصدي لانصاف المثقفين، اللاهثين غالباً وراء التقرب من السلطات، للتنفع فالانتفاع المتبادل.

وعليه: ركّبت الكلاب عندنا أجنحة ونصّبت نفسها نسوراً.

خافت العصافير في البدء من نباحها، فحلّقت عالياً، تطلّعت إلى الأرض؛ مازالت الكلاب تنبح في مكانها بقوّة، ما استطاعت أن تعلو. حاولت تكريس نظامها نباحاً وعضّاً، فانخفضت العصافير وتبرّزت على رؤوسها.

في بعض الأنظمة، يتراءى للمواطن المؤهل للتفكير، أنه يُرْجَمُ بحجارة اللعنة منذ ولادته. يردد عصفور مثقف: 'تحت هذا السكوت الذي لا يُغامر فيه الكلام، أصدحُ كي أتيقن أنيّ وحدي أنا والظلام.'[1]

العطاء الحضاري هبةٌ وجوديةٌ من أفراد موهوبين باحثين، يمنع أو يعيق بعض المسؤولين – لجهلهم – توهّجه؛ لا يفهمونه. ومضات من تاريخنا أفلتت وما عادت تحتٌ بسببٍ من ذلك... عجبي، كيف لا يخجل البعض من إطرائهم على حكم الملوك والخلفاء المحدثين، بل وسكوتهم واستسلامهم للقدر حيال مجريات الأمور أمام المستبدين؟ "حاكم النشامة" من نهر دجلة مثلاً. عجبي، كيف لا يندن جلُّ المثقفين عالياً بالحكم الديمقراطي الحقّ وقد سرت نكهة الحرية من خلاله هناك وهنالك (حيث تقيم بعض العصافير العربية المثقفة) في عروق إيقاعاتهم الداخلية ونبضات قلوبهم. عجبي، كيف لم يفجّروا تلك الإيقاعات هنا، بين إخوانهم من العصافير الأخرى؟ أما من وسيلة لنقل نبضات قلوبهم بين الإخوان العصافير؟ 'حلمي في اتجاه، جسدي في اتجاه وفكري في آخر: لا تناقض، بل وحدة الضوء والظلّ في هذه الحياة، وحدة الساهر المتشرد في غابة [الأفكار] الكلمات.'[2]

اهتم كلّ الفلاسفة، على اختلاف مذاهبهم الفكرية، بالإنسان وحريته في كيفية بناء تاريخه وتأسيس وجوده على قواعد "منطقية-أخلاقية"، ليفيد من الخيرات الماديّة التي تجود بها الحياة؛ من

---

[1] ادونيس 1960-1961. اغاني مهيار الدمشقي، دار الآداب، بيروت. ص98.

[2] ادونيس 1998. الكتاب، الجزء الثاني، طبعة أولى، دار الساقي، بيروت. ص538-539.

"هيجل" العقلي النزعة الذي قال: 'العقل هو القوّة التي تعين سير التاريخ. فكل ما يحدث هو بإرادة الإنسان والتاريخ كلّهِ، تاريخُ فكرٍ يكشف عن التطور الذاتي للعقل.'[3] وصولاً إلى "ماركس" المادي النزعة، وقد قدّم الوجود على العقل، وحجته في ذلك، أن اجتماع الناس وتواجدهم هو ما يقرر وعيهم في كيفية بناء الحاضر والمستقبل.[4] وانتهاء بـ"سارتر" الذي كان الإنسان والحرية شغله الشاغل، وفي مفهومه على هذا الصعيد: 'لا يمكن فهم التاريخ إلاّ بدءاً من الوجود في شبكة علاقاته المعقدة، بعبارة أخرى: إضفاء البعد الإنساني على أي اعتبار، فليس إلاّ "نحنُ" مشروعاً فردياً ومشروعاً جماعياً.'[5]

عصفور عربيّ من نهر النيل، بمناسبة قرب موعد زواجه: 'دنا يا اخوانا حدبح وادبح.'

عصفور أبله آخر: 'حتدبح إيه ولا إيه؟'

'ياعبيط، حدبح الأولى، يعني حادخل على عروستي وحَفضّ البكارة بتاعتها. حدبح التانية، يعني ولا مواخذة، حدبح خروف بالمناسبة إن شاء الله.'

'يا خويا مَتْزَوّح لأمّك؛ حتْضَحي بإيه ولاّ بإيه؟ مَتْتَ جوعان وكحيان وحفيان ومنتوف ريشك وعدمان وخربان خالص وجربان كمان؛ حتدبح منين ولا منين؟'

'لم أهجُ مصر — هجوت ذلاً وضمائر منخورة.'[6]

لأنها تتقبل الذل وتتكل على الله ولا تنسى حمده على كلّ ما يرد منه.

أحزانٌ وعواصف وأمطار وإرهاصات تقاسيها نفوس أهل النيل وفي رؤوسها صور عن حياة أفضل يتمنونها ولا يسعون إليها، لا يشقّون المسار إليها.

إنه عامل نفسي عايشه صلاح عبد الصبور والجأ إليه داخل نفوس مواطنيه، وعبّر عن ذلك في قصيدته "الحزن"، وإن كانت معانيها تُبرزُ من حيث الظاهر، الحاجة لإسكات الجوع مقرونة بالحزن. يقول:

'طلع الصبح فما ابتسمت ولمْ
ينيرْ وجهي الصباح
وخرجت من جوف المدينة
أطلب الرزق المتاح
وغمست في ماء القناعة خبزَ
أيامي الكفاف.'

حقاً إن معركة الحرية جزء من معركة الرزق، وقل وجهاً آخر لها. والحزن يشتمل عليهما معاً. نحن في وجودٍ صنوٍ للقلق والعذاب والقهر والجهل. إن لم نستطع أن نواجه حقيقتنا بدءاً سليماً بالماضي، فلا

[3] L'Histoire de la Philosohie, François Châtelet, Tome II, P.158.

[4] مجموعة من الأساتذة السوفيات 1971. الماديّة التاريخية، دار الطليعة، بيروت. ص168.

[5] L'Histoire de la Philosohie, François Châtelet, Tome III, P.170

[6] ادونيس 2002. الكتاب، الجزء الثالث، طبعة أولى، دار الساقي، بيروت. ص251.

أمل بمستقبلنا، إن على صعيد الأوطان أو على صعيد الذوات.

'ما لأيامنا لا ترى تحت هذي السماء، أي نهرلتجري فيه غير نهر الشقاء.'[7]

فإن بقينا صامتين صاغرين حيال ذلك، فإننا سنحمل الهوية لحقائق أخرى أكثر تعاسة وبؤساً. وعليه: نحن معنيون بما نعايشه ويمرّ في حياتنا، معنيون بما يمر من أحداث وحوادث، معنيون بالتطلع إلى الأمام لنستكمل شق مسارنا، معنيون بعيشنا كاملاً وبكرامة في كلّ حياتنا. إنّه سعي وبناء؛ فإن لا، هاتوا لي تعريفاً لأساس الحركة الإنسانية في زمانها ومكانها... كفانا أن أهدافنا قد تقزّمت، فانحطت قيمة الإنسان العربي في أعين الجميع.

'مصر في جوعها تنام وأعضاؤها أتخمت من ركوع، مصر مختومة بشموع النبوّة.'[8]

الفلسفة بحثٌ عن وجهة نظر تنظم سبل الحياة. بناء على ذلك، استطاع العالم المتقدم أن يغير من نماذج الفكر ويرسم طريقاً للحياة. واستناداً: ليست الفلسفة اعتقاداً مسبقاً على أنها البحث في الغيب لا في الواقع؛ فقد غالى الفقه الإسلامي في استعماله للقياس مبتعداً قدر الإمكان عن العقل، حتى وصل الأمر عند بعض الفقهاء بادعاء أحاديث نبوية لا وجود لها ا حديث مُدَلّس، كما ينعته بصيغة المفرد بعضهم الآخر.

يمكن الخطأ إذن في عملية الانطلاق إلى الفلسفة أساساً، يتوازى معه الإفراط في تقدير ما هو مُنزَل، بدون إعمالٍ للعقل في تحليل النص، كما فعل "الأشاعرة".

أجزم قاطعاً بأنه لو أتيح لفرقة المعتزلة العمل بحرية، وقد نصبت العقل دليلاً لها في شرح النصوص، مروراً فيما بعد بفلاسفة أجلاّء أمثال "ابن رشد" و"الحلاّج"، لكان اليوم للإسلام وجهٌ آخر، وللمسلمين تقدير ومكانة وأوضاع غير المتعارف عليها حالياً.

في الشرق حضارة قامت على الدين باعتماد القياس غالباً. أمّا في الغرب، فقد كبحت الحضارة من جوامح الدين بالعقل وبالتفكير، وصولاً إلى التصريح التالي وقد اكتسب مصداقيته على مراحل في أذهان الغربيين ومفاده: إنّ الدين في الغرب قد قام على الحضارة؛ كلام لم يعد كافياً. فالدين مُثُلٌ ثابتةٌ مهما اجتهد الواقع في تأويلها موازاةً وتقدم الزمان. أما الحضارة فمُثُلٌ متحركة قابلة للتشذيب بطواعية مع واقعٍ بالإمكان أن يتقبله الجميع، عندما يصار إلى مواجهةِ مُثُل الحضارة بالمقاييس المنطقية، استعداداً للدخول إلى واقع جديد، فرضته أفكار أخرى نمت وترعرعت بعد أن أرضعتها الأخلاق وقوّمها العقل.

'أن يكون أحد المجتمعات مهووساً بماضيه وبتكرار كل زاوية فيه دون ملل وبأحسن من كل الآلات المسجلة، فإنه يحكم على نفسه أنه يتنفس برئة واحدة هواءً ما عاد صالحاً للتنفس (للعيش)، فالحياة تتجدد، وتنفس الهواء النقي الجديد من حق الجميع، ليستمر بناؤهم وعطاؤهم.'[9]

---

[7] ادونيس 2002. الكتاب، الجزء الثالث، طبعة أولى، دار الساقي، بيروت. ص21.

[8] ادونيس 2002. الكتاب، الجزء الثالث، طبعة أولى، دار الساقي، بيروت. ص330.

[9] La Memoire Sturée de Régine Robin, Paris édition Albin Michel 2001, Paris.

'صفرٌ داكنون أولئك الرجال الماثلون على عكاكيز تاريخهم.'[10]

لا تفتقر مصر إلى المثقفين، ولا إلى أساتذة مفكرين كباراً غير متقوقعين. حديثاً: نصر حامد أبو زيد، غيض من فيض إذا ما أوردنا أسماء عقلانية علمانية. إلاّ أن مصر تفتقر – حال دول العالم الثالث – إلى الحرية الحقة والديمقراطية النظيفة، وهذا عائق كبير وسد منيع في وجه المفكرين المنتمين لعالم التعاسة؛ مصير "أبو زيد"، مثالاً.

يعرف هؤلاء الأساتذة الكبار، أن المجتمعات الراقية لا تعتمد على ملاءمة ظروف عالمية ومفترقات سياسية لما يدور داخلاً أو خارجاً، بل تنطلق إلى ذلك مستندة على أفكارها الناضجة، في معاينتها قبلاً وحاضراً لما يدور.

هذه الأفكار التي استندتْ إليها، كفيلة بإنارة مسارها لحقبة تطول أو تقصر، تتولد خلالها أفكار أخرى وهكذا دواليك... إلاّ أن الحرية واليمقراطية شرطان أساسان للتداول بالأفكار التي تصنع القرار، فما هبط الرقي على العالم المتقدم وحياً من السماء، بل كان نتيجة عمل طويل ومعاناة وصبر ككل مجتمع يتطور في الإيجاب كما يكبر السلب، إلاّ أن المنسقين فيه من أخصائيين إلى مثقفين، يعملون بحرية ويتناقشون بديمقراطية، ليعيدوا التوازن بين الظاهر والمضامين الاجتماعية، السلبية والإيجابية، مثلما تُعدّل دفة السفينة عندما يعلو الموج، فتتفادى الملمّات.

هذا هو الجوهر الاجتماعي من تعريف دور الفلسفة الذي أشرنا إليه: بأنه بحث عن وجهة نظر تنظم سبل الحياة، يعني التفكير مع واقعٍ يتحرك وليس الاقتصار على وصف حالة ثابتة وتكرار وصفها بأسلوب آخر حتى *التحجر* فالإعياء *والقرف*.

بقيت دول العالم الثالث على هذه الحال، حتى أمات التكاثر السكاني فيها، وانعكاساته السلبية على الاقتصاد والوعي الاجتماعي وغير ذلك، كلّ بارقة أمل في النوعية والتعديل الاجتماعي المنشود. ذلكم حال مصر: أمواج شعبية تتدافع نحو الرزق، تتكاثر دون توعية حيال اقتصاد هزيل – والرزق على الله الكريم – والويل لمطلق قانون يذرُّ برأسه، أمام المراجع الدينية فيها، للحدّ من الإنجاب بصورة *صارمة*.

مصر مثال صارخ من بين دول العالم الثالث، ينذر بأن التكاثر السكاني فيها أضحى سرطاناً متقدماً ينخر في جسمها. ومن جملة ضحايا هذا السرطان، نوعية التحصيل والمستوى العلمي الجامعي. وحتى الشذرات الموهوبة في مجال اختصاصها باتت لا تستطيع الوصول إلى سوق العمل بسبب سدود التنفع والتنفيع، والمحسوبية المنحصرة بـ"القطط السمان" المقربة من السلطة، وهي تعيق كل شيء، لكنها لا تغلق الباب تماماً فتنفسح المجال أمام دخول قلائل من المتميزين المعروفين، وذلك تجنباً لإثارة المواطنين. فمن قبل من هؤلاء القلائل أن يضيف إلى ذكائه وتميزه بعض فتات من عطاء في جيبه، وهو المعْوِز المنتوف الريش غالباً، صار من المقربين إلى السلطة وانحدر إلى أنصاف المثقفين الوصوليين بعد أن أدار ظهره إلى ضميره. ومن لا يقبل إطلاقاً مثل هذه الأمور لرادع ضميره الحيّ،

---

[10] ادونيس 2002. الكتاب، الجزء الثالث، طبعة أولى، دار الساقي، بيروت. ص361.

عجل على نفي نفسه بصمت إلى الخارج، وهام على وجهه.

هكذا تستمر مصر في اختناقها السكاني الذي صار من معالمه الواضحة "ساكنوا المقابر الأحياء" في العاصمة وجوارها. وينطرح سؤال: أين هو الداعية الفذّ إلى جانب إخوان له؟ أبإمكانهم أن ينشروا بين الأمواج الشعبية تلك الفكرة الحكيمة، على سبيل المثال، للعالم الإسلامي الجليل محمد إقبال، الذي قال: 'الإسلام رسالة تحيل الإنسان إلى عقله فيما تستحدثه له الحياة من مشكلات، بعد ذلك تصبح الرسالة منوطة بعقل الإنسان، وإذا أخذنا باحتكام الإنسان إلى عقله، فقد اعترفنا ضمناً بضرورة احتكامه إلى العلم والتطور.'؟[11]

عصفور يائس ينتمي إلى نهر دجلة: 'أتراها المدينة، بغداد، مخنوقة؟ ولماذا تذكرتها الآن؟ عصر يتشكل في جوف جبّانة.'[12]

عصفور عراقي آخر مثقف وملتزم: 'نحوهم، يا خُطاي – إلى هؤلاء الذين يدقّون باب الرجاء، يعيشون في ظلّ أحلامهم.'[13]

أمعنُ وبقية الأساتذة في ذلك الضابط العراقي الكبير السابق، الذي استطاع الفرار إلى "فرسنّة" بعيد حرب الخليج الثانية، وهو يتحدث إلينا ما فحواه: 'عملنا الواجب وما كنّا لنترك إلاّ لاستحالة البقاء.' وكنا نفغر أفواهنا مشدوهين على مقاطع يصعب تصورها، منها أن بعض العسكريين تعرّض في السجون لجدع الأنوف وقصّ الآذان. وإمعاناً في إذلال بعض الضباط، فقد تعرضوا للاغتصاب داخل السجون، وتكرر هذا الأمر، بل إن بعض العسكريين كان يتعرض لتوالي المغتصبين في المرة الواحدة!

ومنها: أن بعض كبار الموظفين كان يتعرض لغاية الإذلال بما في ذلك التفّ عليه من قبل ابن "رئيس النشامة".

'من أنت أيها المنتظر؟ لن تحظى بالحياة إلا مصادفة بين الموت والموت.'[14]

وعليه: 'ليكُنْ... لن أقول وداعاً للبلاد التي أنتمي إليها، ولأشياءها لن أقول.'[15] مادمت فيها: 'الدروب أقدام لا تعرف غير السلاسل والزمان ساقان مشلولتان.'[16]

طغت حالة الظلم الذي لا يمكن تصوره – على ما مرّ – على كلّ ماعداها، مما يدور حالياً ومن كلّ ما دار خلال الاحتلال ولغايته، لدرجة أن العقلاء يرددون وباستمرار مايلي: 'فلو سبق الشيطان الرجيم، وبقية إخوانه الشياطين، الدولتين اللتيْن أزاحتا نظام "رئيس النشامة" وإبنيه وبقية إخوانه، وأنصاف إخوانه، وأبناء عمومته القريبين والبعيدين، وكل من له علاقة بالإجرام، وأخصهم ذلك الملقب بـ"الكيماوي"؛ فبتروا أقدامهم التي كانت تدوس وتدعس على الغالبية العظمى من العراقيين، وجدعوا أنوفهم وقصّوا آذانهم، انتقاماً لمظلومين مقهورين؛ ليشكرهم العرب خفية – على وجه الخصوص –

---

[11] محمد إقبال 1983. تجديد الإسلام، طبعة ثانية، دار المعارف بمصر، القاهرة.

[12] أدونيس 2002. الكتاب، الجزء الثالث، طبعة أولى، دار الساقي، بيروت. ص312.

[13] نفسه. ص284.

[14] نفسه. ص225.

[15] نفسه. ص369.

[16] نفسه. ص370.

وجهاراً من قبل المثقفين المستقلين، لا أنصاف المثقفين المنتفعين.'

'آه بغداد! رأس عبيّ، لغةٌ مَوْمَاةْ. من يزين هذا الفراغ لبغداد؟ من أنشاهْ.'[17]

يتساءل واحدنا حائراً في كل شيء: 'كيف لا توغل المدائن في سخطها؟ كيف لا تتناقل أفواهها ما تقول سيوف صعاليكها للطغاة وما لا تقول؟'[18]

إنه الواقع المر على مدار العصور العربية: 'عروش العربْ، فازفري عالياً وإنشجي، بارياح اللهب. لا ضياءٌ، إذا لم يكن آتياً من جراحك.'[19]

نمعن في المسار السياسي للعالم المتطور، نتطلع إلى المراحل التي اجتازها وطورها، علّ ذلك يحث ويوفر عوناً للمثقفين بحق؛ فها هو المجتمع العربي أمام شواهد ناظرنا وأمام أعين العقول في العوالم المتحضرة، ما ساعدته أحزابه ومؤسساته في رسم الآفاق وشق المسار، كلّ ما هنالك: طرح شعارات وحماسات وتعاريف، ما حملتْ معولاً للعمل المخلص الفعلي، فاضحت الطروحات في مكبّات النفايات. ما يفعل المثقف العربي الحق يا ترى، عندما لا يُصغى إليه، بل يرمى بالعشائرية والتبعية والتزوير من قبل المسؤولين على درجاتهم واختلاف اتجاهاتهم، وقد أتت بهم الأحزاب والتجمعات والشعارات والحماسة الفارغة والتجاوزات؟

كاني بالمثقفين العرب الجديرين يرددون: 'نرفض حالنا على ما هي عليه، ونحافظ على القدر القيمي لأنفسنا حتى لا تهون. ما بأيدينا الحل والربط ومن بأيديهم لا يشركوننا الرأي، وقل: لا يلتفتون إلينا. نكتفي بقراءة ما يدور وحسب. الأنكى: أن الأقوياء داخلاً وخارجاً يسألوننا: وما هو على غير مايرام؟ فنقرف حتى من أنفسنا ومن صلتنا بالعالم.

لسنا أحراراً حتى أمام الأوراق بين أيدينا، وتلكم مرارة مستديمة. ما يعذبني، هذه الأسئلة الثلاثة التي يطرحها فيلسوف فرنسي معاصر، وهو صديقي، في طول كتابه وعرضه وعلى مدى صفحاته.[20]

1- ما هو المنهاج الحياتي الذي نرغب أن نعيشه؟

2- ما هي الحركة التي نرغب أن نتحركها؟

3- ما هو الهواء الفكري الذي نتوق أن نتنفس؟

وما درى صاحبي وهو يتوجه بأسئلته الآنفة إلى العالم أجمع أننا كعرب، مازلنا بعيدين جداً عن مجرد تردادنا لمثل تلك الأسئلة؛ فندخلها حيّز التطبيق بعد قرون – إنشاء الله – لينبض فحواها في وجودنا التعيس!

بنى صديقي أسئلته الطموحة على أرض حضارية وفي دولة متقدمة يعمل المسؤولون فيها على خدمة مواطنيهم، بحيث يتسنى للمثقفين الكبار منهم أن يعملوا ويبحثوا ويبدعوا الأفكار ويتداولوا بها بكامل حريتهم، وحتى أمام المسؤول الكبير في رأس السلطة. في تلك البلاد يجتمع الرئيس ورئيس

[17] ادونيس 2002. الكتاب، الجزء الثالث، طبعة أولى، دار الساقي، بيروت. ص57.

[18] نفسه. ص120.

[19] نفسه. ص256.

[20] Philippe Tesson 2002. La Chronique, Filammarion, Paris.

مجلس الوزراء والوزراء وغيرهم من المسؤولين مع المثقفين والمفكرين، بما في ذلك أساتذة الجامعات، للتداول في شتى الامور. وهذه مناسبة شرف وتقدير في تحمل الجميع مسؤولية القيادة والتخطيط للبلد.

هكذا ينسق الحكّام في البلدان المتطورة أفكارهم السياسية، قيد تخزينها في موازاة ما يتوقعونه من أحداث. هكذا تتأسس صمامات الأمان، لمواجهة الحدث قبل وقوعه أو التخفيف من حدته إذا وقع.

مقابل هذا الوعي لدى المسؤولين الأكفاء في مطلق بلد متقدم، نجد مواطنيهم يندفعون بدورهم للبناء والتضحية على كل صعيد. وعليه: حبذا لو يثبت هذا التعريف عن المواطنية الحقة في المفهوم الإنساني لـ"لعقد الاجتماعي". أما حان الوقت ليُنفض الغبار عن كتاب "الجمهورية" لأفلاطون، فيختار العالم التعيس، العالم الثالث، حكامه على ضوءه؟

لقد حلّ العرب التنشق بالشعارات الفارغة، خصوصاً مع ما رافق ذلك من التطبيق التجاوزي المغلوط، المشفوع بالتجارب السياسية المرة. فعندما يمعنون في ماض قريب، يتذكرون "وحدة... تحرر... ثأر..."، شعار قامت عليه حركة سياسية قومية، لكن تركيزها كان على تهييج الشارع، واعتماد وسائل مثل إذاعة "صوت العرب" الشهيرة، التي كنا نسمع منها "جعجعة بلا طحن". وحتى سيادة "الرئيس" ما كان يسمح لأحد من المثقفين التفوه بما لا يتلاءم مع مزاجه، أوليس هو من صغر من شأن الفيلسوف السياسي العربي الكبير "ميشيل عفلق"؟ وهل نسينا مصير المثقف الشيوعي "فرج الله الحلو"؟

حلّت هزيمة عام 1967 نتيجة تقديم الانفعال على التفكير وإعمال العقل. والأهم: إستبعاد المفكرين العرب عن كلّ مشورة. ومع الهزيمة تشتت أفراد من تبقى في الحركة المذكورة بين صفوف أصحاب العمائم أو نقيضهم من اليسار المتطرف. أما اليسار المعتدل الذي قام أصلاً اعتماداً على الفكر الشيوعي الإنساني العلماني، فقد سقط اعتداله نتيجة التطبيقات المغلوطة، خصوصاً أن الشيوعية انقلبت في بلادها إلى طبقية قاسية برّت الطبقية اليمينية الرأسمالية، وانتهت بعد اثنين وسبعين عاماً إلى نهايتها المعروفة.

يلوك المواطنون اليوم مرارتهم حيال شعار آخر هو: "وحدة... حرية... إشتراكية..."، وقد قام عليه حزب عربي كبير كان معقد الآمال، لكن مضمونه الفكري استبيح من قبل القيمين عليه فصار حصصاً يتنازعون عليها، نتيجة التطبيق المغلوط، والأنانية في الممارسة الحزبية، التي كانت بغيتها الأساس الاستحوار على السلطة.

لقد فشل العرب في إقامة الأساسات المتينة التي يشيدون عليها صرح تقدمهم الذي كان من المفروض أن تكون فيه الحرية الثابتة من أهم مقوماته. ومن أهم هذه الأساسات: إصلاح أخطاء الماضي، والحدّ من سلبياته، والتصدي لكل ما يعيق أو يحول ضد التقدم الحضاري. لقد أصبح واضحاً أن كل التضحيات التي قام بها شرفاء الأمة العربية في التصدي للاستعمار ومقاومته، وصولاً إلى العذابات الفلسطينية اليوم، وشرف الانتفاضة ضد الغاصبين، لا تجدي دون خلق مناخ الحرية الملائم الذي هو من أهم عناصر التأسيس للتقدم المنشود. ولن تستقيم الأمور بتفصيل حرية الآخرينً على

"قدّنا"، إذ لا بد أن تنبع حريتنا من ضمن ظروفنا ومناخنا.

’من أين يجيء الضوء، وكيف يجيء لهذي الأرض المنقوعة بدم التاريخ؟‘[21]

’عصرٌ يتفتت كالرمل يتلاحم كالتوتياء، عصر السحاب المسمى قطيعاً والصفائح المسماة أدمغة. [أي أنصاف المثقفين المتنفعين] عصرُ الخنوع والسراب، عصر الدمية والفزّاعة، عصر اللحظة الشرهة، عصر انحدار لا قرار له.‘[22]

بعد الدخول الأميركي-الإنكليزي إلى العراق، تحسستُ مرارة الدخول وأيقنت أن حاضرنا مفروض علينا من الداخل أولاً ثم من الخارج. حاضرٌ مكثف مثقل ولا وقت لفارضيه من الخارج، بناء على ما تجنى علينا به قباطنتنا، لأن يقفوا على التفاصيل التي تحفل بها محطات تارخينا. حاضر مفروض من الأقوى بعد أن وفر له ذلك قباطنتنا بعناد جاهل، ولا أفق لهذا الأقوى سوى أفقه. يصنع حاجته اليومية عندنا من الماضي والمستقبل دون أن يدخل المواد التفصيلية في صناعته تلك. وهكذا يفرض الأقوياء على التاريخ أن يتناول الماضي آلياً وعلى عجل وينتظرون منه إثبات وجود هذا الحاضر، ولو بهوية مبهمة؛ المهم أن أصابع الأقوى فيه هي التي تترك معالمها الواضحة. المستقبل إذن لا ضمانة فيه، إذا بقي الحال على ما هو عليه، ونحن نتقيد بمبادئ الأقوى المفروضة.

هذا التاريخ الذي يصنعه الأقوى، والذي يحلو له أن ينعته على أنه التاريخ "بلا حدود"، ليس سوى سوط يجلد به الضعفاء، ويحقق مآربه وأهدافه. فلا مناص ولا خلاص إلاّ عندما يصنع الضعفاء تاريخهم بأنفسهم، ولكن بوعيٍ وعلمٍ وإدراك وإمعان. وهذه كلها تتطلب الجهد والإرادة الطيبة كـ"رأسمال" في متناول الجميع.

أعرف أن المهمة شاقة على الأجيال القادمة، فهي لن تستطيع أن ترفع مدماكاً واحداً لمستقبلها، قبل أن تغير السياسات المهترئة من تحته. لن تستطيع أن تمهّد متراً واحداً إلى الأمام على مسار مستقبلها، قبل أن ترفع السدود والحواجز من أمامها، وأهمها: تسلط البعض على الحزب الواحد الحاكم، فبقية الأحزاب – إن وجدت – إنما هي للتمظهر الديمقراطي، واستئثار القلة بالسلطة يجعلها إلى الأبد على كرسي "البطش-الحُكم".

لم يعرف قباطنة العرب ما صنعوا وما يصنعون غالباً، ماضياً وحاضراً. وعليه: لا يمكن لشعب مغلوب على أمره داخلاً وخارجاً، أن يتفتح أزهاراً فرحة على الأرض دون عون الآخرين.

على العرب الحاليين في هذا الحاضر الذي يعيشونه، أن يمعنوا فيما دار ويدور من حولهم بل في عقر دارهم بشكل مغاير. يجب أن يجدوا تصورات مغايرة تساعدهم على تفهم عالم متقلب غريب، فيواجهونه حاضراً ليعينوا أجيالهم القادمة – إن امتلكوا ذرّة من المسؤولية تجاه هذه الأجيال، وقدراً من الاحترام داخل ذواتهم، ليستمر كيانهم في هذا الوجود. إن المقصود بمواجهة الأمور بشكل مغاير، ألاّ يتصدى لها العرب قياساً عمّا جرى بحكم العادة والممارسة داخل بوتقة التقوقع. ’إن من لا يعرف أن

[21] أدونيس. الكتاب، الجزء الاول، ص151.

[22] أدونيس 1960-1961. أغاني مهيار الدمشقي، دار الآداب، بيروت. ص37.

يرى الظلمة، لن يعرف أبداً أن يرى النور.'[23]

عصفور مثقف من نهر بردى بعد جفافه: 'ولم يكن القمر امرأة ولا خشخاشاً عندما نظرت إليه آنذاك فيما كنت أتنشق روح ياسمينة دمشقية؛ كان ذاكرة وقت يعيش في الهجرة.'[24]

عصفور دمشقي آخر يشدّ الرحيل: 'آه، ما ذا أسمّي بلاداً لم تعد تنتمي إليّ، ولا أرض لي غيرها؟'[25]

ويردف بعد تحليقه، وهو يتذكر وداعه لرفاقه: 'غصنُ الحلم على أهدابهم منكسرٌ.'[26]

عصفور فيلسوف: الحياة تاريخ متحرك، وكيفما كانت حركته، تُقلّبُ صفحاته. عصفور فيلسوف آخر يصادق على قول الأول مستشهداً بابن خلدون: '[لا ينبغي الذهول] عن تبدل الاحوال في الامم والأجيال، بتبدل العصور والأيام.'[27]

يردّ العصفور الأول الأستاذ: إنّ غرض التاريخ، هو الوصول إلى الإنسانية أو بلوغ وضع يحقق الناس فيه ذاتهم بصدق.

عصفور تلميذ يؤمن بفلسفة الوجود: إننا إذا نظرنا إلى الإنسان وحياته مخترقين وجوده الداخلي، نجد أن الديمومة في وجود كريم هي زمانه ومكانه وواقعه.

عصفور عربي يحلق فوق كلّ الأراضي العربية، يحطّ ويستريح فوق أية أرض عربية؛ لكن خفية حتى لا تطالبه مطلق سلطة علابية بإذن الدخول. آمن بالوحدة العربية في ذاته ولذاته فقط، وجمع شمل العرب داخل أمانيه... يردد تحليقه: الكلّ مفتقد إلى معنى وجوده، معنى إنسانيته، ومعنى الحرية خارج قواميس الأنظمة، وبعيداً عن أنظمة الشعارات وأبواقها ونباح كلابها للتغطية على أنين العصافير ولتمويه آهات عذابها.

ما يتعسني ويشقيني، أنني لا أستطيع تفادي التحليق فوق أمكنة العذاب والتعذيب العربية؛ لأنني أود أن أرى الوجه الحقيقي للعوائق والحواجز والسدود التي تحول دون وجودنا بكرامة، فنتقدم ونتوحد بالحرية والإنسانية فالمواطنية الحقّة، وأية مواطنية وأيّ وطن حيال مواطنين تاقوا إلى الحرية، فبادرهم الوطن بالسجن والجلد والعذاب على "الكرسي النازي"، وقبل ذلك بالتحقير صفعاً ولكماً وتفاً في وجوههم، وبوضع أقدامهم في الفلقة، أو إجبار بعضهم على ابتلاع فأر ميّت داخل زنزانته؟

أوليست جهنم التي حدثتنا عنها السماء بأرحم؟

لا بد من الإمعان في السياسة العربية وفي العقلية العربية بدءاً من الماضي.

'إن قلت: لابد من رؤية الماضي في حقيقته وسيرورته بعقل نقدي، يستقصي ويفكك، ولا بد من رؤيته، بهذا العقل، في تناقضاته الدامية، وانشقاقه الساطع، ومن خلال نهر الدم الذي سبحت وتسبح فيه السياسة، قيل لك: أنت مخرّب وهدّام. وإن قلت: إن شعراء ومفكرين كثراً، في الماضي والحاضر،

[23] أدونيس 1989. كلام البدايات، الطبعة الأولى، دار الآداب، بيروت. ص159.

[24] أدونيس 2002. الكتاب، الجزء الثالث، طبعة أولى، دار الساقي، بيروت. ص361.

[25] نفسه، ص69.

[26] نفسه، ص177.

[27] ابن خلدون 1960. المقدمة، دار الطليعة، بيروت.

قُمعوا ويقمعون، وقُتلوا ويُقتلون، ونُفوا ويُنفون، وأبيدت كتبهم، بشكل أو بآخر وتُباد، قيل لك: أنت مخرّب وهدّام.

وإن قلت: إن حركة التصوّف، والحركة الإلحادية العقلانية، على تناقضهما، إنما تشهدان لإبداعية الإنسان العربي وحيويته، أو قلت: إن المجتمع الإسلامي-العربي يسير، منذ تأسيسه، منقسماً على ضفتي نهرٍ من الدم، وإن هذا النهر لايزال مستمراً، قيل لك: أنت مخرّب وهدّام. حسناً، (...)، أنا أقول الحقّ، إذن: أنا مخرّب وهدّام.

إن هوية أي رقي، هي ما سوف ننوجه إلى إبداعه نتيجة لما قرأناه ودرسناه وأمعنا فيه وعايشناه. حقيقة مطلق عصر، هي أفكاره التي يُنسّج منها المناخ الثقافي العام، ولكن بعد تمحيصها ونقدها، بل ونقضها وحتى إلغاء بعضها عند اللزوم. إلاّ أن هذا الأمر لا يستقيم إلاّ في جوّ من الحرية الحقة، وعليه أترك هامشاً للمثقفين من القرّاء: أن يضيفوا من حاضر البيت العربي "ماضياً-حاضراً" ومستقبلاً ينبغي العمل لأجله.

إن يتأتى للعرب أن يحققوا تقدماً على مسارهم وإنسانية حقةً لمواطنيهم، إلاّ بطيّ وقلب صفحات من تاريخهم السياسي. قال لي صديقي أستاذ العلوم السياسية، وهو فرنسي محب للعرب: 'وكما تحملنا قراءةٌ منتقاة لأبعد ما تسمح به تذكرة طائرة لرحلة بعيدة؛ بالطريقة عينها ينتقي الأوربيون مسؤوليهم فينتخبونهم، وهكذا وصولاً إلى انتخاب رئيسهم، وخلال وبعد فترة حكمه، يقوّمون أعماله وخدماته من خلال موقعه، فإن حاز بكفاءته على رضى غالبيتهم، أعادوا انتخابه لمرة ثانية فقط أو اختاروا غيره، وذلك طلباً للاستمرار في تجديد وجودهم.'

أن ما يحدث في بعض البلدان العربية بعيد عن هذا كلّ البعد. هناك مواقع ومواضع مما يحدث، لا تقتصر على وضاعتها وابتذالها وحسب، إلاّ أن الأنكى أنها لا تعصى في آنٍ عن التفسير وذلك لوضوحها الشديد. فحتى المواطن الأوروبي العادي، تعلو وجهه ابتسامة صفراء ساخنة وهو يتسقّط نتائج انتخابات "ما" في البلدان التي ذكرناها، خصوصاً حين يرى النتائج المضمونة التي تفرض "الوريث" أو "وليّ العهد".

أما عن الخنوع الشعبي في البلدان إياها، فحدّث أيضاً ولا حرج عن البحث "عن لقمة العيش"، بالإضافة إلى الأنانية الوقحة، والوصولية العمياء، والجهل أولاً وأخيراً لدى غالبية العصافير والكلاب على حدّ سواء.

يقول ميشيل فوكو: 'أن تبني ذاتك مدعّماً نفسك، لتكون مؤهلاً لاختيار استمرارية الحياة، فإنك لا تحتاج إلى قانون مدني ولا إلى عُرفٍ ديني، وما من واجب يرغمك، لأن كيفية استمرار وجودك عملية اختيار شخصية في ذاتك ومن ذاتك.'[28]

وجان بول سارتر قريب من هذا النهج في فلسفته الوجودية. إلاّ أن السؤال: من هو المواطن المؤهل لاختيار استمرارية حياته دونما الحاجة إلى أي قانون أو عرف أو واجب؟ قد تستمر حياة المواطنين،

[28] *Michel Foucault* - Le sujet en question- "L'herméneutique du sujet" - cours au collège de France Année universitaire 1981-1982.

ولكن السؤال: بأية حالة أو نوعية من الاستمرار؟

إن اللحاق، ولو جزئياً، بركاب العالم المتقدم، ينبغي أن تتوفر له فسحة نظيفة للتحرك، تعتمد على تكاتف جميع أفراد المجتمع الواحد، ينعمون في حرية لا يجب التخلي عنها. 'عندما ترحل حقبة زمنية بأفكار أناسها في مجتمع ما، فإن جيلاً جديداً يكون قد وُلد قبلاً ونما وتعلم وولج بعد نضوجه إلى باحة التفكير، وهو من سيمسك بدفة المجتمع ويديره. إنه مجتمع جديد بجيل جديد وأجيال تتوالد وتنمو وتتعلم؛ وعليه: يلزمهم الوقت الكافي ليتدارسوا ويمعنوا في تفاصيل كلّ ما مضى. هذه الأجيال ليست مثقلة فقط بأعباء ماضيها القريب والبعيد، بل أمامها أيضاً مهمة العمل لبناء مستقبل أفضل.'[29]

'ماذا تفعل، يا هذا الراوي في هذا التاريخ الميّت؟ - أشهد فيه ميلاداً آخر لتواريخ أخرى.'[30]

تطلعت إلى المكان والزمان العربيين، وما أدراني أنيّ في ضياع ومتاهة سوى ضائعين تائهين كحالي.

لا نسمع من الزمان إلاّ تكتكاته، ولا نرى من المكان إلاّ علاماته، ولا تهدينا هذه العلامات إلى هدف نصل إليه، لأن اضطراباً كبيراً اعترض مسارنا التاريخي، والأسباب سلطوية عربية غالباً. كلّ حضارة لها وعليها، لكن المشكلة كامنة في كفاءة من أمسك ويمسك المقود، ويؤثر في مسارنا العربي. الأخطاء لا تمحى عن المسار بسهولة، ناهيك عن نتائجها الكارثية على أمّة التعاسة.

نحن في وجودٍ صنوٍ للقلق والعذاب والقهر؛ بالأنانية— أنانية الكلاب، وبالجهل— جهل معظم العصافير. حقاً... نحن معشر العرب "عصافير وكلاب". عصافير لا حصر لها، محاصرة بالحرّاس في أوطانها؛ زقزقتها خرساء مخنوقة. عصافير مقتولة؛ زقزقتها ميّتة. عصافير منفيّة؛ زقزقاتها بعيدة. وما تبقى من عصافير، فإن زقزقتها طغى عليها النباح.

أرضنا... أرضنا... كلاب عليها تنبح...

وعصافير تطير...

عصافير تطير...

د. **عزت صبّاغ** كاتب من طرابلس، لبنان، يعيش في باريس. نشر في مجالات المقالة والقصة. يغلب على أعماله النقد الاجتماعي، بروح فلسفية. يحمل شهادة دكتوراه دولة في الفلسفة من جامعة باريس الأولى.

Dr. **Izat Sabbagh** is a writer from Tripoli, Lebanon, who lives in Paris. The above article is titled *The Sparrows and the Dogs*. It is a critique of the contemporary Arab mentality.

[29] Germaine Tillon 2000. La Soif de Comprendre. Gallimard, Paris.

[30] أدونيس. الكتاب، الجزء الأول، ص377.

B A S S A M F R A J I E H

LETTERS

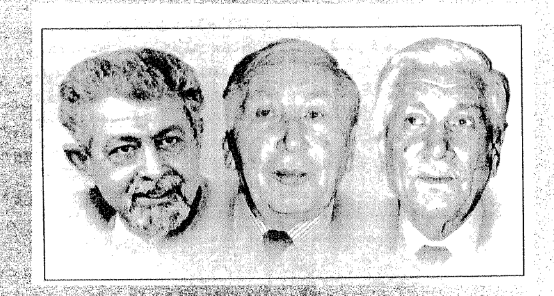
بهجة الاكتشاف

رسائل

نزار قبّاني وعبد الوهّاب البياتي وهاني الراهب

إلى

بسّام فرنجيّة





رغيد النحّاس

نقطة علّام

إيفا ساليس: الإبداع أدباً وسياسةً

واكبتْ الدكتورة إيفا ساليس مسيرة "كلمات" منذ العدد الأول حين تكرّمت بقبول أن تكون في الهيئة الاستشارية، وبتقديم قصيدتين للنشر، واحدة بعنوان "وجع" والثانية بعنوان "انعكاسات". وكان لي شرف ترجمة الأولى ونشرها في العدد الرابع من "كلمات". تقول القصيدة:

أنا كتابك الاثير
لكنك لم تعد تقرأ
أنا حلمك الأحلى
لكنك لم تعد تنام
كيف تُريح وجعي؟

أنا منزلك الأفضل
لكنك أضعت المفتاح

يهتز وتر القوس مع غناء الريح
حين تناولني سهاماً
لأرميك بها

كيف ستنزع الوتر؟
كيف تكسر سهامك؟
كيف تنهي هذه الأغنية؟

أعجبني في هذه القصيدة بساطة الكلمات المستعملة وعمق المعاني التي توحي به الكلمات. شعرت أن هناك "ديناميكية" مميزة تُلبسها الحركيّة الشاعرية لا الميكانيكية فقط. وما أروع تلك المعضلة التي تنقلها إلينا حين تحدث من تخاطبه قائلة إنه يناولها السهام التي ترميه بها، فهي هنا في ورطة، لكن سرعان ما تتحول الورطة إلى من يناول تلك السهام، فعليه الآن أن يفكر في كيفيّة نزع الوتر وتكسير السهام. وشعرت أن هناك "طيبة" في هذه الكلمات، لأنها جاءتنا بطريقة مألوفة، فهي تتحدث عن "حلم" و"منزل" و"مفتاح" و"أضعت" و"تكسر"، وكلها أمور لها علاقة بحياتنا اليومية، جمعتها ساليس في صورة وصفيّة يسهل الانسياب إلى عمقها ومعايشتها.

القصيدة، بنظري، كانت محببة نكيّة— تماماً مثل كاتبتها حسبما شعرت به من تعاملي معها بشأن "كلمات". أما التأكيد العيني لذلك، كان عليه الانتظار إلى أن تمّ أول لقاء وجهاً لوجه بيني وبين ساليس. كنت مع زوجي في زيارة استجمام لمدينة أديلايد، وكان موعدنا في مقهى تابع لجامعة أديلايد

حيث تعمل إيفا ساليس. وصلنا قبلها، ولم يكن صعباً عليها حين وصلت أن تتجه فوراً إلينا لأنها ميّزتنا من ملامحنا الشرقاوسطية. كنت أراقبها حين دخلت من الطرف الآخر للمقهى واندفعت بين الطاولات نحو الشرفة التي كنّا فيها، فذكرتني فوراً بأيامي في الجامعة الأميركية في بيروت لأنها بدت، بلباسها وحركتها، كواحدة من الطالبات الأميركيات القلائل اللاتي كنّ يدرسن معنا. سلّمت علينا بأدب كبير، وجلسنا نشرب القهوة ونتبادل أطراف الحديث.

في تلك الفترة كانت ساليس تعيش تجربتها في الأمومة لأول مرة، فقبل سنة من زيارتنا رُزقت مع زوجها روجر بغلام سمياه رفائل. وهي تجربة بعثت الرضا في نفوس الجميع، كما أن هذا المولود غير كل شيء في حياة العائلة و'يجعلني أخترع حكايا الأطفال.'

ترافق ذلك باهتمام آخر غير الكتابة، ألا وهو الدفاع عن حقوق اللاجئين. وليس غريباً أن تقول هذه الأم إن علاقتها مع كلّ لاجئ هي علاقة عضوية؛ فهي تعتبرهم أصدقاء وأقرباء. فبالرغم من انخراطها السياسي تقول: '...ككاتبة، أشعر أنني أقدم القليل ببطء شديد، بالرغم من الأذى المباشر الذي ينزل بالرجال والنساء والأطفال— وهذا أكثر من أي شيء آخر دفعني نحو أسلوب الفعالية الخلاّقة بالإضافة للكتابة.'

والواقع أن تصدّي ساليس للوضع الحالي في أستراليا كان وليد اليأس، وإيمانها أن عدم قول أو فعل أي شيء أصبح في العام 2001 نوعاً من المشاركة في الجريمة، ولهذا قامت بالمساهمة بتأسيس منظمة "أستراليون ضد التمييز العنصري" (Australians Against Racism)، الذي تقول عنه إنه طريقتها في التعبير عن رأيها بحريّة، وكذلك رأي أولئك الذين انضموا معها في المشاريع المختلفة في هذا السياق.

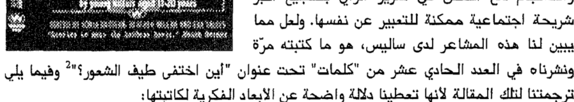
تقول ساليس: 'تمرّ أستراليا بأزمة في تعاطيها مع قضايا حقوق الإنسان، نقوم فيها بنسف الحقوق والحريّات التي تحمينا جميعاً، دون تفكير بما نقوم به. الذي حدث في أستراليا خلال السنوات القليلة الماضية هو نقلة واسعة النطاق من مفاهيم حقوق الإنسان إلى التركيز على المصلحة الوطنية الخاصة.'

"أستراليون ضد التمييز العنصري" منظمة تسعى لزيادة الوعي الشعبي حول تجارب اللاجئين وطالبي الملاذ، من خلال وسائل الإعلام والفنون والثقافة. وكان أول مشاريع المنظمة دعاية تلفازية بعنوان "وجوه في الزحام"، تمّ بثها عام 2001 في يوم حقوق الإنسان. وفي عام 2002 قامت ساليس بابتكار وتنسيق مباراة مدرسية حول اللاجئين، فكانت النتيجة نشر كتاب "أحلام مظلمة"، ضمّ 37 قصة من أفضل القصص التي كتبها أطفال المعتقلات.[1] وتقول هيلين غارنر عن الكتاب: 'قصص تذيب أشد القلوب قساوة.'

أما ساليس التي ساهمت في تحرير الكتاب، فتقول في مقدمته التي كتبتها: '...[الكتاب] مجموعة من القصص يذكّر فيها الرواة الشباب ذويهم بما كانت عليه أستراليا بالنسبة للنازحين في الماضي،

[1] Dechian, S., Miller, H. and E. Sallis (Eds.) 2004. Dark Dreams, Australian refugee stories by young writers aged 11-20 years. Wakefield Press, South Australia.

ويذكّرنا، بأسلوب وصفيّ حيّ، ما يعني أن يكون المرء لاجئاً، على اختلاف التجارب. نعم، هي مجموعة قاتمة، لكنها غنيّة بالمثاليات، والطاقة والتفاؤل. يتكرر في الكتاب موضوع الصداقة— صداقات ضاعت، تصدّعت، استُذكرت، ثم وُجدت، الآن في أستراليا.'



وتضيف ساليس: 'تم جمع القصص من أجل هذا الكتاب عام 2002 من خلال مباراة مدرسية لم يسبق لها نظير شملت كلّ أنحاء استراليا، بعنوان "أستراليا هي اللاجئون!" (Australia IS Refugees!). طُلِبَ من الكتّاب الشباب أن يعثر واحدهم على شخص جاء لأستراليا كلاجئ، ثم أن يستمع إلى قصته. بعد ذلك على الكاتب الشاب أن يتخيل تلك القصة ويجعلها، على نحو ما، قصته هو حين يكتبها.'

لاشك أن اهتمام ساليس البالغ بجعل الجميع يقول كلمته، إنما يكشف لنا نوعاً من الإخلاص والدأب والانسجام مع النفس في تعزيز الرأي بتشجيع أكبر شريحة اجتماعية ممكنة للتعبير عن نفسها. ولعل مما يبين لنا هذه المشاعر لدى ساليس، هو ما كتبته مرّة ونشرناه في العدد الحادي عشر من "كلمات" تحت عنوان "أين اختفى طيف الشعور؟"[2] وفيما يلي ترجمتنا لتلك المقالة لأنها تعطينا دلالة واضحة عن الأبعاد الفكرية لكاتبتها:

> يبدو الآن أن الأستراليين أضاعوا قلوبهم، ويعيشون في ظلال البرجين الساقطين وهمسات الحكومة بأننا مهددون [بالإرهاب]. يشعر معظم السكان في أستراليا بكراهية حقيقية للمسلمين والشرقاوسطيين. وخارج هذه الغالبية هناك بعض من يشعر بالتعاطف مع الثقافة الإسلامية ومع الشرقاوسطيين، وبصورة خاصة أولئك البائسون الذين قدموا إلى أستراليا كطالبين للجوء والعون.
>
> ولكن هل نُحسّ فقط بهذه الظلال الرمادية؟ أين اختفى طيف الشعور؟
>
> ماهي الكراهية الحقيقية وما هو التعاطف؟ بالنسبة لي، أجد في هاتين الناحيتين أضيق الأطياف الوجدانية أفقاً وأحقرها، التي نحاول التعبير عنها. رماديّ داكن وأبيض باهت، لوحة عن الحرب. أحس بالتقدير، والغضب، والضراوة، والبهجة، والفخر، والسعادة، والحب، والكراهية، وأغيّر فكري يومياً فيما يتعلق بالثقافة الأسترالية؛ ولا بدّ من القول إنني فقدت الشعور بالهوة الكبيرة بين الثقافة الأسترالية والثقافة الشرقأوسطية. واحدنا لا يقول أبداً: 'أنا متعاطف مع الثقافة الأسترالية'، لأن هذا لن

[2] Eva Sallis 2002. Where has the Spectrum of Feelong Gone? *Kalimat 11*, p14.

يستطيع الإلمام بمدى المشاعر التي قد تنتابه. فالتعاطف والبغضاء حالتان ممعنتان في الصلابة، لأنهما إمساك من على بعد بالمواثيق، والحب، والصداقة، والتجارب المشتركة، والحزن المتبادل. التعاطف إحساس يبديه الغريب، وهو إحساس يهدف إلى إرضاء الآخرين، لأننا نعلم جميعاً أنه أفضل من البغضاء، وأن العطف هو أفضل ما يقدمه الإنسان في جوّ تخيم عليه الكراهية الكليّة.

تقول البغضاء إن هؤلاء "الآخرين" آخرون لدرجة أنهم لا يملكون مشاعر إنسانية تجاه أبنائهم. بينما يقول التعاطف إن هذا ما هو إلا كذب مبين، وطبعاً لدى الآباء والأمهات القادمين من الشرق الأوسط نفس مشاعرنا تجاه الأطفال. في كلٍّ من هاتين المقولتين ما يدعو للاشمئزاز؛ الأولى أنها قيلت على الإطلاق، والثانية أنه يجب أن تُقال كرد على الأولى.

لا شكّ أن تجاربنا الإنسانية متبادلة— أمر لا جدال فيه. ومن الخيانة طرح الموضوع على الإطلاق. هل انحدرنا إلى درجة نضطر فيها التأكيد على إنسانيتنا المشتركة بهذه الكلمات التعاطفية؟ بهذا التأكيد، إنما نشير بأصابعنا نحو الصدع في قلوبنا، صدع ما كان يجب أن يكون فيها.

إذا كنا نتشارك مع الثقافة الأخرى في أمور أساس مثل: الحزن، المسرة، الأمل، اليأس، الرغبة، الغضب من سلوك مراهقينا، الاستمتاع بوجبة شهيّة، كيف نقبل إذن أن يتقلّص هذا الطيف الواسع ونسمح للعطف والبغضاء فقط أن يسيطرا علينا؟

وُلدت إيفا ساليس في بلدة "بنديغو" القريبة من ملبورن في ولاية فيكتوريا الأسترالية، عام 1964. كان ترتيب ولادتها الرابع من أصل تسعة أولاد: أربع بنات وخمسة صبيان. كان والدها عازف "فيولا" (كمان أوسط)، وُلد في فلسطين لعائلة ألمانية تابعة لجالية صغيرة يطلق على أفرادها "الهيكليون"، مستقرة قرب حيفا. أرسل معظم هذه الجالية إلى أستراليا في عامي 1942 و1948. والدتها كانت فنّانة مولودة في ولينغتون، نيوزيلندة. التقا والداها حين كانا يعملان في التعليم المدرسي في الخمسينيات. وكانا على درجة عالية من الموهبة، وتوقعا الكثير من أولادهم التسعة، مع قرن ذلك ببذل الجهد الكبير في تعليمهم، خصوصاً في مجال الفنون.

غادرت ساليس، البنت الصغيرة، مع أهلها أستراليا ليعيشوا في ألمانيا لمدة سنتين ونصف. وخلال تلك الفترة تجولّت العائلة في كلّ أنحاء أوروبا. وتقول ساليس في هذا المجال: 'كان تأثير ذلك ملحوظاً عليّ— أتذكر أنني شعرت كأن مخيلتي صَحَتْ حين كنت في أوروبا. رجعت إلى أستراليا في أوائل السبعينيات كشابّة واعية شديدة الملاحظة (بالرغم من عزلتي والحماية التي تظللني).'

انتقلت العائلة إلى جنوب أستراليا حين كانت ساليس في الثامنة، لتستقر في مزرعة صغيرة في منطقة "هضاب أديلايد"، حيث 'أكمل والديّ مشروعهما في تعليم أولادهما بعيداً عن العُرف السائد.' وتضيف ساليس:

الأماكن والأمداء المتعلقة بشبابي جزء متأصل في عميق ذاتي وكتاباتي. من الصعب

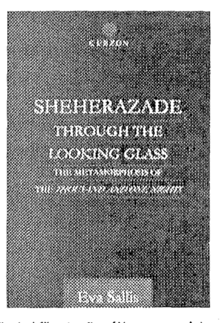
> تفسير معنى هذا بالضبط. لكنني أعني أية مساحة شغلتها: المنزلية، المدينية، مغلقة أم مفتوحة، تنزل فيّ بطريقة ما إلى الأبد. تصبح جزءاً من التجربة الذاخرة. سواء استُعملت في الكتابة أم لا، تراها فصيحةً موحيةً، كامنة برموزها ضمن النسيج الذي يجعلني من أكون. هذه الذخيرة تنطلق لتؤكد على أية فكرة جديدة وتعطيها معناها، أو أية تجربة: المناظر الطبيعية المخزونة موجودة، تعطي صورة حية ناطقة عن أكثر ما هو تجريدي في ذهننا. هذه المناظر الطبيعية هي إعراب وقواعد الذات والخصوصية، تأتي عبر صور، وليس كلمات، ترسمني ضد ما لست أنا، وتعطي ذاتي وجهها المعلوم. إذا قُدّر للمناظر الطبيعية التي خبرناها في أية مرحلة من مراحل حياتنا، أن تتسرب في مسامات جلدنا، تصبح جزءاً من التركيبة المعمارية ذاتها. تكمن داخل كلّ واحد منا جملة من المناظر الطبيعية الأساسية، واللحظات الحسيّة. هذه يمكن أن تكون ضياءَ عصر في آخر الصيف في بستان للبندق في جنوب ألمانيا؛ أشجار أوكاليبتوس رمادية خيطية اللحاء تركت فيها حرائق الغابات آثارها؛ طيور الكُكتوه الأسود تنادي بكسل، وطقطقة أكواز الصنوبر الممزّقة وهي تتساقط على الأرض؛ أو رنين بائعي الغاز وصوت المؤذن للصلاة: صوت يذكرني دائماً بالقمر ونجم المساء فوق مدينة صنعاء في اليمن. لم أستطع استبعاد هذه المشاهد عن كتابتي، حتى لو لم استعملها بنفس وضوح استعمالي لها في "هيام"، [أولى رواياتي]. في "هيام" سعيت إلى تغيير القواعد العميقة وبنية ذاتٍ كانت هي شخصيتي، وكان لابد من استعمال المناظر الطبيعية لذلك.

بعد أن أنهت ساليس الشهادة الثانوية، بعلامات لا تدعو للإعجاب، على حدّ تعبيرها، دخلتْ كليّة الآداب في الجامعة، لتختص في الأدب الإنكليزي الذي أجادت به. 'في أواخر سنوات مراهقتي حين كنت في الجامعة، يمكن القول إني وجدت بداياتي، عن طريق دراسة ت. س. إليوت، شوسر، المجتّبين.'

حصلت ساليس على شهادة الشرف من المرتبة الأولى وكانت أطروحتها حول فيدور دوستويفسكي، ثم أكملت شهادة ماجستير في الآداب عن شعر ت. س. إليوت وفلسفة ف. هـ. برادلي. وبعد إنهاء الماجستير مباشرة، بدأت بدراسة اللغة العربية، لأنها كانت تريد تحضير دراسة الدكتوراة عن حكايات ألف ليلة وليلة، خصوصاً حول الطريقة التي تعامل فيها الأوربيون مع هذا العمل سواء من حيث الاقتباس منها، أو إساءة قراءتها، أو قراءة ما تمنوا أن يروه فيها، في كل جيل من الأجيال التي تعاقبت.

> أجد من الصعب أن أقول لماذا اخترت ذلك، أما دراسة إليوت فيسهل تفسيرها أكثر— بالنسبة لجامعية غير متخرجة، كانت دراسة "الأرض الهباء" نقطة تحول أساس بالنسبة لي. وبالتأكيد رغبت في "ألف ليلة وليلة"، خصوصاً أن أصول والدي، وبعض القصص الألمانية "الشرقية" أضافت إليّ طبقات من الوعي النقدي. كل الذي أستطيع قوله، إنني بمجرد أن ابتدأت بدراسة اللغة العربية، لم أستطع التوقف، وصارت خطة دراسة الدكتوراة شديدة الجانبية. وهكذا أخذتني دراسة اللغة العربية والبحث من أجل كتاباتي،

إلى الشرق الأوسط. ذهبت عدة مرّات إلى اليمن، وفي السنوات الأخيرة مرتين إلى لبنان. كما كانت لي زيارات عابرة إلى بلدان أخرى في تلك المنطقة. أعتبر دراستي للغة العربية، واحدة من أغلى التجارب التي قمت بها، بالرغم من أن صعوباتها في البداية كانت مدعاة للإحباط على أكثر من صعيد.



وتعتبر ساليس أن البحوث التي قامت بها من أجل شهادة الدكتوراة أشبعت رغبتها الفكرية والعلمية. بعد تخرجها بسنتين استطاعت الحصول على العمل الذي كانت تحلم به، ألا وهو الدخول إلى السلك الأكاديمي كمحاضرة دائمة في جامعة أديلايد، لتتركه بعد ثلاث سنوات فقط، إذ قدّمت *استقالتها آخر عام 2002 لتركّز على الكتابة بشكل كامل*. 'لدي شعور متناقض حول عملي الأكاديمي. أشعر، نوعاً ما، بالأسف لتركه بنفس الوقت الذي أعلم فيه تماماً أن قلبي الآن مع الكتابة وليس مع التدريس. أعتقد أنني كنت مُدرّسة جيدة، ولي الشرف أنه كان عندي تلامذة متفوقون، خصوصاً في برامج الماجستير والدكتوراة. لا زلت أتابع تطور مجرى حياتهم العملية بفرح.'

وكان لنا شرف التعامل مع بعض هؤلاء التلامذة الذين نشرنا لهم بعض الأعمال في "كلمات"، ونعتقد أن ساليس محقة تماماً فيما تقول.

كتبت إيفا ساليس قصيدتها الأولى حين كانت في السادسة من عمرها. وهي قصيدة تقول فيها ساليس عن نفسها ما معناه إن كلّ الطيور ملكها لأنها الإنسانة الوحيدة التي تعاملها بالاحترام اللائق وبتفهم كامل. وتضيف ساليس:

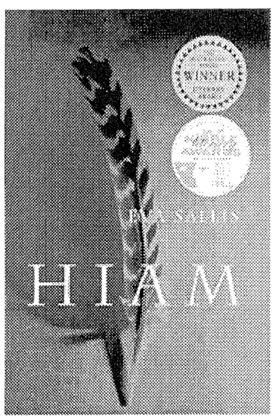
> لدي عدد كبير من الأعمال الطفولية غير القابلة للنشر لرداءتها، وكلها مليئة بالتركيز على الذات والضياع الروحي الذي تتميز به أعمال المراهقين. أما تدريبي الأدبي الجادّ فكان أثناء حياتي الأكاديمية، حيث كنت محظوظة بوجود محاضر يدعى "فيليب والدرون"، الذي أشرف لاحقاً على أعمالي في الماجستير والدكتوراة، وكان من أصحاب الأساليب البارعة، إضافة لكونه ناقداً دؤوباً. كنت لازلت شابة شديدة الانتباه والملاحظة، وكنت متأثرة فيما اكتشفت لاحقاً أنه "أسلوب" الإبداع الأدبي في الكتابة. وكان عليّ الانتظار وقتاً قبل أن استطيع تطوير أسلوبي الخاص. كتبت رواية "هيام"[3] في نفس الوقت الذي كنت أقوم به بتحضير الدكتوراة. كانت تجربة لعوبة، سببها الأساس الحاجة لكتابة أشياء لا يستطيع النشر الأكاديمي الإيفاء بمتطلباتها. كان لدي شعور صارخ حول عرض هذه

[3] Eva Sallia 1998. Hiam. Allen & Unwin, St. Leonards, Australia.

التجربة ليحكم عليها الآخرون، يتلقونها، ويصنعونها وفقاً لفهمهم لها. خرجت "هيام" من هذه البوتقة.

لم يكن لساليس علاقة حقيقية مع المؤسسة الأدبية. أنهت روايتها "هيام" في نفس الوقت الذي أنهت فيه شهادة الدكتوراة. وهكذا انطلقت ساليس في مجالها المهني الاكاديمي. تمّ قبول أطروحة الدكتوراة للنشر من قبل دار "كورزون" فخرجت في كتاب تحت عنوان "شهرزاد في المرآة: انمساخ ألف ليلة وليلة".[4] وبعدها حصلت ساليس على جائزة "أسترليان/فوغيل" الأدبية عن روايتها "هيام". وهذه الجائزة هي أهم الجوائز الأدبية الأسترالية لكاتب تحت سن الخامسة والثلاثين. وهكذا نالت ساليس نوعاً من الشهرة الأدبية الفورية. 'كانت تشجيعاً خارقاً لرغبتي المتنامية ودوافعي لكتابة القصة.' كما ربحَتْ القصة جائزة "نيتا مي ديبي" الأدبية، ورُشّحت لجائزة "كوريّر-مايل" لكتاب السنة عن عام 1999، وكذلك لجائزة القصة الوطنية عن عام 2000.

بعد قراءتنا للقصة نجد أن الوصف الذي حمله الغلاف الخلفي لها دقيق جداً ولذلك نورد هنا ترجمة لما جاء على لسان الناشر:



"هيام" قصة رحلة عبر كلّ من المناظر الطبيعية النفسية والجغرافية، رحلة عبر التفكك والضياع. هيام، المهاجرة العربية، تتخلى عن أديلايد لتحلّ ألغاز حياتها وهي تتجه شمالاً على الطريق، بعد أن تشوّهت ذاتيتها وعائلتها. وعلى مسار الرواية، تنسج هويةً من خيوط الماضي، والحاضر، والقصص، والأحلام، والمناظر الطبيعية الأسترالية التي تتعامل معها لأول مرّة.

على مستوى واحد، هذه قصة عن تجربة مهاجرة في أرض غريبة، قصة تسبر ضغوطات، وهشاشات وقوى الجاليات المنفيّة. لكنها أيضاً قصة عن الأسى الإنساني العام، والشجاعة الفردية والإرادة، ليس فقط للبقاء، بل للعيش الكامل في هذا العالم.

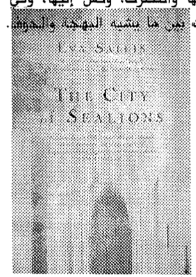
[4] Eva Sallis 1999. Sheherazade Through the Looking Glass: The Metamorphosis of 1001 Nights. Curzon, Richmond.

وينقل الغلاف الخلفي أيضاً المقطع الصارخ التالي من القصة:

> تغيّر العالم. على مدّ البصر، كانت الأرض حمراء. لم تكن برتقالية اللون، ولا حمراء ترابية، أو حمراء بنيّة، أو ربما كل تلك الالوان مجتمعة. كان لوناً غنياً عميق الاحمرار، يتألق بقوّة تحت ضياء منتصف الصباح. كانت على علم مبهم بأن للأرض في مكان ما في أستراليا هذا اللون، لكن حقيقة الأمر كانت مذهلة مروّعة.

والواقع أن المناظر الطبيعية النفسية الجغرافية تطل علينا على طول الطريق، والطريق بحد ذاتها وسيط هام في الرواية.

> حين انتصف النهار، بلغ منها التعب أشده من القيادة. حملتها هذه الأرض الحمراء الموحشة الرهيبة ودفعتها قدماً دون شفقة. لم تستطع التوقف، وواصلت القيادة وهي تفيض بكرهها لكل شيء تراه في طريقها. دماء على الطريق، دماء على جانبي الطريق، وعلى الرؤوس المسحوقة للماشية السوداء الراقدة على طرفي الطريق. نسورٌ هائلة سوداء وبنيّة، كانت ترتفع وتنخفض بارتباك في الجو، تتردد في ترك كتل دامية لا يمكن تمييزها على الإسفلت الوامض. امتدت الأرض منبسطة فوضوية إلى حافتها المنتظمة السريعة الزوال. بدت صغيرة بشكل مذهل. السماء كانت وعاءً مقلوباً، يحبسها كأنها صرصار مجنون في عدمٍ منبسط. (ص36-37).
>
> طفت الطريق تحت السيّارة. كانت طريقاً من لامكان وتتجه إلى لامكان وكانت هي بكل بساطة تزحف فوقها لتقوم بشيء ما. كانت تمشي في الصحراء في الريح تجرّ الرمال فوق قدميها. وفجأة ضربت الريح حولها خصلاً ودوّامات من الرمال، فكفنتها في عباءة حمراء باهتة حجبت عنها الرؤية. أبعدت بيديها طيّات العباءة ونظرت، لترى رجلاً يمشي باتجاهها عبر العاصفة الرملية. جمعت عباءتها حولها وانتظرت. وصل إليها، وفي اللحظة التي نظرت إلى عينه عرفت من يكون. تجمدت بين ما يشبه البهجة والخوف.



> نظر إليها الرسول المبارك محمد عن كثب، وقال،
>
> 'من أنت؟'
>
> 'أم زينة.'
>
> نظر عن كثب أكثر.
>
> 'من أنت؟'
>
> وقالت دون أن تكون متأكدة،
>
> 'أنا زوج مسعود الشريف.'
>
> حدّق في عينيها، وقال بلطف،
>
> 'من أنت؟'
>
> 'أنا ضائعة.'

'رضي الله عنك وتكفلك برعايته يا هيام،' قال لها، وحين استدار واختفى في الصحراء، عصفت الرياح من حولها، ومزّقت العباءة والرمال ونثرتها بعيداً...

(ص126-127)

تتمحور أعمال ساليس حول سبر الأفكار عن الثقافة والمنفى والانتماء. فمثلاً روايتها الثانية "مدينة أسود البحر"[5] تستكشف ماهية العزلة والهوية الثقافية والاجتماعية. ورواية "مهجر"[6] (تستعمل هذه الكلمة العربية كعنوان، أي *Mahjar*)، تسبر تجارب عدة أجيال من المهاجرين واللاجئين من العالم العربي، ومن خلال قصص وشخصيات إفرادية، واكتساب وخسارة المنفى، والهويّة الموقتة.

نشرت ساليس عدداً من القصص القصيرة والقصائد والموضوعات الأكاديمية والنقدية والمراجعات. أما كتابها القادم "نار، نار"[7] فتنظر فيه نظرتها الخاصة إلى العائلة والهوية الأسترالية.

يبدو أن كل عمل من أعمالي يتناول شيئاً مختلفاً، لكنها كلها تتركز حول مواضيع معينة. ماهي طبيعة الانتماء؟ كيف نحلّ معضلة هشاشة انتمائنا العائلي أو الاجتماعي عندما يُنتزع منا، أو يطير أدراج الرياح، أو يأكل عليه الزمن، أو تنال منه المجتمعات أو العائلات الأخرى التي ترفضنا سراً أم علانية؟ كيف نستمر في البقاء كما نحن حين يذهب أولئك الذين يعرفوننا؟ ما هي النسبة من الذات، المصنوعة من الانتماء إلى مجموعة ما والمصنفة من قبل تلك المجموعة، ويمكن رؤيتها، وما هي النسبة التي تكون جوهرية داخلية؟ كم من الأذى أو التحوّل يسببه خسارة نسبة للأخرى؟

من نشاطات ساليس أنها أسست عام 1998 "دريفتوود مانيوسكريبتس"، وهي شركة تعنى بتقييم الأعمال الكتابية قبل إرسالها للنشر. وكان سبب إنشاء هذه المؤسسة هو إيمان ساليس بضرورة مساعدة الكتاب الناشئين بتزويدهم بإرشادات مفصلة حول أعمالهم أكثر مما كان متاحاً في حينه. تركت ساليس هذه المؤسسة فيما بعد لشريكتها فيها التي مازالت تديرها.

تعتبر ساليس أن المساواة بين الجنسين مشروع يعتمد على الفرد وعلى الجماعة معاً، ويتضمن اشتراك الرجال والنساء على حدّ سواء. وتقول إن تعليقاتها قد تكون مختلفة لو أنها تربت في بلد آخر،

---

[5] Eva Sallis 2002. The City of Sealions. Allen & Unwin, Sydney.
[6] Eva Sallis 2003. Mahjar. Allen & Unwin, Sydney.
[7] Fire, Fire (forthcoming 2004). Allen & Unwin, Sydney.

خصوصاً إذا كان أقلّ طمأنينة من أستراليا. كما تقول إن تعليقاتها ستختلف أيضاً فيما لو أنها ترعرعت في بيئة محافظة. 'حقوق المرأة أساسية كما تبدو لي، لكني لا أعتقد أن النظرية الغربية للمساواة بين الجنسين يمكن أن تحدد الأطر اللازمة للمجتمعات أو الثقافات الأخرى فيما يتعلق بأهم تلك الحقوق، أو ما هي تطلعات تلك المجتمعات. أما في كتاباتي، فلا أشعر أنني أكتب عن المرأة أو من أجلها بالتحديد، حتى حين تكون المرأة هي الشخصية المحورية في عمل من أعمالي. أشعر دائماً أنني أكتب عن قضايا تهم كلا الرجل والمرأة معاً، وأسفار هي أسفار الروح.'

ينحدر روجر، زوج ساليس، من أبوين درزيين من أصل لبناني. التقى إيفا وروجر في سن مبكرة، ومضى على حياتهما المشتركة إثنان وعشرون عاماً، وهذا يزيد عن نصف عمر كل منهما. تقول ساليس:

> لا شك أن عالمه – عالم الجيل الصاعد من المهاجرين العرب – أثر بي، وصار بطريقة غريبة عالمي أنا أيضاً. لكن لبس لزوجي أي اهتمام باللغة، بل على العكس. أعتقد أن بداية اهتمامي باللغة العربية كانت نتيجة أن الشرق الأوسط، المكان الذي وُلد فيه أبي، هو بالنسبة لي مكان حقيقي في هذا العالم، ولبس مكاناً دخيلاً، "شرقياً"، وكنت على علم منذ الصغر أنه كان بالنسبة لمعظم الأستراليين مكاناً رومنسياً، ليس إلاّ. وولعي الشديد باللغة العربية جاء من دراستي لها ونما مع تطوري وتفاعلي فيها، ووعيي للإمكانيات التي ستفتحها هذه اللغة في وجهي. كانت تلك التجربة واحدة من مفاتيح تحولاتي الحياتية. غيرت من أكون. وبالمناسبة، لا أقول إني فصيحة بها. أستطيع قراءة وكتابة العربية والتحدث بها، وقرات كل الكتب المطبوعة عن ألف ليلة وليلة، كما أنني معجبة بأعمال نجيب محفوظ وحنان الشيخ ومحمود درويش. أحب بعض القصص الشعبية اليمنية، وقرأت كثيراً من السير، لكنها لم تعجبني كثيراً.



Eva Sallis (Photo by Peter Mathew)

بدأ رافائل، ابن ساليس، يتعلم العربية، ولكن على أصولها 'وليس من والدته!' كما حدثتني أيفا.

دوروثي دويل مينكو

شعر ترجمة منصور العجالي

مطر ربيعي

هذا هو اليوم
الذي كنا ذاهبين فيه لدفن كيني

لكن المطر لم يسكت
ناظر الأرض قال:

المركبات تخدد الأرض بدواليبها
وتفسد المرج...

قصيدة إلى نهدي الأيسر

رابية
كنار
بحلمة قرنفلية باهتة

رابية
مكممة بالبياض

أنت
يانجمي الثاقب
الأثير

لطالما وددت أن يسمحوا لي بالإحتفاظ بك.

انتحار

أن
ننتحر
يعني
أن نغلق النوافذ
نسدل باب المرآب
نفرغ قنينة الفاليوم
وندفع النجوم بعيدا

تماما
كما لو أننا
نستمني
من شدة الإشتهاء

نمرر
أصابعنا
على الشعر الفاحم
فتضيء.

دوروثي دويل مينكو شاعرة أميركية، صدر لها حتى الآن مجموعتان: "ما ألاحظه الآن"، ومنها القصائد أعلاه، و"إضاءات هادئة".

Dorothy Doyle Mienko is an American poet. She has published two poetry collections *What I notice now* and *Quiet Illumination*. The above poems *Spring Rain, A Poem for my Left Breast* and *Suicide* are from her collection *What I notice now*, Iberian Publications 2001. They are translated by **Mansour al-Ajali**, who is a Libyan writer and poet.

ليون ترينر

شعر ترجمة رغيد النحّاس

من هذه الأرض

نترك أحنيتنا عند الباب
وندخل هذا المكان حفاة الأقدام
لنجلس على حواف الأرض.
خلفنا، عبر الجدران، والأشجار، والغيوم
تومض الرياح الموسمية مثل فِكرة
يصعب التصريح بها
لعظمتها.
أصواتنا تملأ هذا المدى
بالترانيم والاحتفاء والصلاة
فلا هي ذكرى ولا هي وداع:
نجاهد هنا لنخلق محصلة أطول
نتمنى لروحها الانعتاق.
لتكتمل، لا بدّ أن
ننثر البتلات عندما نغادر.
ننهض، نمد أيدينا لمصافحة الآخرين
نتمنى لهم السلام.
في الخارج تكتظ الأشجار الباسقة
يحرّك النسيم كل ورقة من أوراقها.



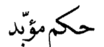
لنمسكها طالما تدوم.
من هنا، جبلٌ إثرَ جبل ينتثر عبر السهل،
تطارده العواصف.
بسرعة، تختفي كلّ بلدة وكلّ مسكن وراء الغيوم.
هنا، عشب القصب المكتظ يشاركنا الرياح المتغيرة؛
تبدأ الغيوم بالصعود: تتلوى أولى الحبال،
تنفتل، تنبرم ثم تواصل الرَّفْع... دائماً ترفع،
وتندفع إلى الخواء...
بينما تجتاح الرزمة الثخينة كل مرتفع ونتوء وصدع.
يجب أن نهبط عبر عالم الشواقيل المحلّقة،
سديم يقطر، جروف وغابات تغتسل بالضباب.
صدى طلقة مسدس يصلنا من الأسفل البعيد.
يخيم السكون على السحابة، إلى أن
تحطّم قرقعة طلقة حادة ثانية،
رَهْبة الطلقة الأولى،
فكرة غامرة:
حيث يتواجد الصيادون
تتواجد الفريسة.

ليون ترينر شاعر أسترالي يقطن في منطقة العاصمة كانبيرا. نشر الأصل الإنكليزي للقصيدتين أعلاه كما هو موضح أدناه بالإنكليزية. كتب الشاعر القصيدتين حين كان يدرس في وسط جاوة، إندونيسيا، عام 2002. القصيدة الأولى كُتبت بعد جنازة زميلة له على مقاعد الدراسة، ماتت فجأة. ولقد أثر الاحتفال الجنائزي على الشاعر بطقوسه المسيحية الإسلامية. القصيدة الثانية، كُتبت بعد تسلق بركان خامد، ومراقبة الشمس تشرق على سهل مليء بالبراكين.

Leon Trainor's publications include three collections of poetry, *Memory's Apprentice* (1977), *Benediction* (1979) and *Free Song* (1999), and a novel, *Livio* (1988). He also published book reviews and poems and short stories. He collaborated with composer Hans Günter Mommer to produce two song cycles for baritone and piano. The above two poems are *From This Earth* and *From the Summit*. The original English was published in *Quadrant*, December 2002, p.39. The poems are translated by **Raghid Nahhas.**

كلاريسا شتاين

شعر ترجمة رغيد النحّاس



أنا حاجّة على مسار الكآبة
كلمّا مررت بمكتب الارتهان يرافقني
خوف طفل صغير يمشي في ممر.
ذلك الجزء من جملة كنت أحاول أن أتذكر...
صورة الزفاف لذلك الجزء الضائع...

كان هناك ذلك الأريج الحلو للشموع المضيئة،
للمرّ والبخور.
وكان التمشي لأعلى التلال،
يوم صيفي دافئ، يجتمع الزوّار،
الراهبة، تُرَحّبْ. كانت برودة الكنيسة معتدلة.

إنه في أيام عيد الميلاد إذ ترن أدراج النقود
أتذكر الحديقة؛ الصيدلاني يطري على
النباتات: "بلمونايا أوفيشينياليس" المنمشة،
البقدونس، الصعتر، البقلة، أزهار الكيوسين الحمراء الداكنة...

كانت هناك رائحة الأزهار الصفر الطيّبة، الطيّبة.

دامت الصداقات فصول صيف كثيرة،
تحدّثت الرسائل عن الفرح بدل قضايا العالم.
كان هناك الحصاد، البذار،
والكبر...

ذات صباح، استيقظت باكراً.

أخبار اليوم: أزهار زيتون ــــــ. تتفتح.

عبر البحر،
طلوعاً إلى الشمال،
وجدت أخيراً الدافع
لأصوّر
ما أعلم (سرك)
في رواية ديكنزية.

بالنتيجة،
يدور الكلام حول جريمة قتل.
بالنتيجة،
الكلام
لن يمحو ما رأيت

في عينيها

(مازلت أرى)

حاولت إنقاذها
من الظلام،
لكن الوغد—
الوغد:
منفذ القانون
لا ينظر داخل النفوس،
لم ينظر إليها
ليميّز ألمها.

أزهار زيتون، تتفتح.
تضيع حيواة في عملية
تقليب صفحات صانعي الكلام.

الأفكار، مثل الزيتون،
بحاجة للعلاج.

أزهار زيتون، تتفتح.
الليلة،
ليلة أخرى، باردة مبللة،
أنا أنتظر
لأسمع
السكون ينادي.

أرشيف الأمل

بالأمس، مشيت إلى أرشيف الأمل،
حيث أخذوا بصمات أصابعي،
ابن حقول الزيتون والنواعير،
ابن الجبال والكثبان الرملية،
ابن حقول الأرز،
ابنة ولادة بتولية.

'رأيت هذا الوجه غداً،'
قال واحدهم للآخر، وأكملوا
الحديث عن المباراة النهائية القادمة،
'سوف يُغلب "النسور"،'
حتى لو كنت لا تستطيع غلبة هذا الطائر.

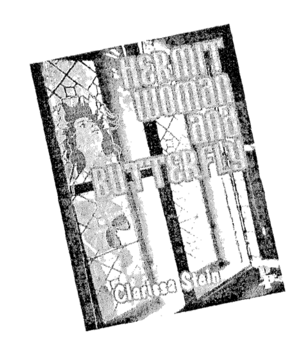
بالأمس، تدرّبت على عناصر
الميشكال البشري في أرشيف الأمل.
أجبرني غِنى الحياة، المختزل

إلى أدنى الحقائق،
على الاستسلام.

بالأمس، استقيت سلطتي الروحية
من أرشيف الأمل بالرغم من أن أملا
خرجت كالنحلة تتغذى، تأكل جذور الحضارة،
برغم السلطة تسفعني
بعلامات وحشية.

وأنا أسبر أغوار أرشيف الأمل
اخترقت اسم إله عنيف
كان يكدس أرض الأموات
بعد كل مهرجان خنازير جديد.

بالأمس، في أرشيف الأمل،
لا بد أن تملكتني رؤيا أمل.



كلاريسا شتاين شاعرة أسترالية تقيم في ملبورن، وتنحدر من أصول المانية-فرنسية. تدير دار *بابايروس* للنشر، وتهتم بترويج التعددية الثقافية. القصائد أعلاه من مجموعتها *هيرميت ومان أند بترفلاي* (ناسكة وفراشة)، من منشوراتها (بابايروس) عام 2002.

Clarissa Stein is an Australian poet of German-French descent. She lives in Melbourne where she runs *Papyrus Publishing*. The above poems, translated by **Raghid Nahhas,** are from her collection *Hermit Woman and Butterfly*, Papyrus Publishing 2002. The poems are: *Life Sentence, Today's News: Olive Blossoms Open, Archives of Hope.*

لويز ويكلينغ

شعر ترجمة رغيد النحّاس

يقظة الصباح

لاجدوى لعالِم مسكين مثلي، أن يكون توّاقاً لعالَم أفضل؛ ولكن ماذا بإمكاننا عمله إزاء كل الحروب؟ لا أرى حلاّ واضحاً لذلك رغم اشتعال رأسي بالشيب.
تشين يو-يي، "يقظة المساء"، (أسرة سونغ الحاكمة، 1090-1138)

ملتحمين بمقاعد معدنية
في ملعب كرة للقدم في أوبرن،[1]
نرص الصفوف درءاً للبرد، نتابع المشاهدة،
ونحن نستمع للريح تخشخش أوراق الشجر،
وضربات الأهداف الركنية في زوايا
أرض ليست لنا

صباح هذا الشتاء محبوك بالاخضرار
مقابل جدار السماء.
خلف الأشجار الوارفة، ترتفع مآذن المسجد
أبراجاً تحلق كالصواريخ فوق بيوت الـ "فايبرو"،[2]
فناءات خلفية تتاخم سكة القطار

الصبي الأفغاني يلتصق بنا
ونحن نتأمل في خسائر من نوع أقل.
ربما كان من الأقرباء جاء ليشاهد المباراة،
ويشارك في الهتاف ضد الخصوم.

[1] من ضواحي سيدني، يكثر فيها العراقيون والافغان وغيرهم من المهاجرين.
[2] طراز من البناء الرخيص مقارنة مع بيوت الخشب او الآجر، جدرانه عبارة عن الواح من الياف مضغوطة.

فارسي، داري، باشتو، عربي، إنكليزي —
ينزلق لسانه من مقطع لفظي لآخر
ناعماً أثيرياً كألوان سجّاد القبائل.

يتكلم لأكثر من ساعة،
حتى أننا لا نشاهد المباراة —
ولا أكتاف أبنائنا المرتخية،
ولا نسمع صرخات المهزومين اليائسة.
يعرف أسماءً أعرفها، يدرسُ في مدرسة
درّستُ فيها، هذا اللاجئ ذو السبعة عشر ربيعاً
قدم حديثاً من مخيم في باكستان.

'القرآن لا يسمح بالقتل،
ولو مجرد نملة تدّب على الارض.'
يغلق عينيه على الذكريات،
على أصوات تركها وراءه، ثم لا تلبث أن تعاوده من جديد،
لم يبق سوى أحذية ملوثة بالتراب —
أمّه تطلب إليه أن يدرس بجدّ،
وأن يحترم معلميه.

سمة الدخول ثلاث سنوات،
كافية لأن ينهي الثانوية،
ثم ماذا بعدئذ...؟

قابلَ عائلات
تنحدر من الجمّالين،[3]
ألقى خطبة في البرلمان.
'كان الناس يبكون حين انتهيت.
مازالت أفغانستان خطرة.
خارج كابول، يسيطر زعماء القبائل على الريف،
اللصوص يطلقون النار على الناس، يسرقون سياراتهم،

[3] في أيام استراليا الأولى، استقر عدد من الافغان وبعض الجنسيات الأخرى، وقدموا خبراتهم كجمّالين كانت البلاد بحاجة ماسة إليهم.

وينهبون أموالهم —'

يمشي الصبي مبتعداً عبر الملعب بعد أن خيّم السكون.
لا يزال يأمل
في عالم أفضل،
فيما "الطالبان"، تلاميذ الرب،
يتنكبون الكلاشينكوفات،
يتحصنون في معاقلهم القروية،
كموجة مرتدة.

هنا، وهناك

"هنا"، ورعبُ "هناك" الذي لا يوصف.
الثالثة قبل الفجر، وطيور الكوكاتوه[4] المبكرة
تهزّ أعرافها، وتطرح الأغصان أرضاً
كمن يطرح القفاز تحدّياً، يدعو للنزال.
وأنت نصف نائم، تسمع دمدمة "هرقل"[5] عتيقة
تتعقع شرقاً بُعيد مغادرتها قاعدة رينتشموند الجويّة.

تعلم دوماً ما يُدبر هناك،
مثلاً: الملكة محمولة جوّاً فوق رؤوسنا،
أو المؤن الطبية تتجه إلى أبعد مناطق النزاع—
ذلك الأزيز المدوّم فوق رؤوسنا، موثوقٌ إلى حدّ ما،
محركات قديمة حفظت في أغلفة قطنية
لمناسبات كهذه،
تُصْفر عبر أحلامك
كجنرال متقاعد

[4] ببغاء استرالي بلون أبيض وعرف اصفر.
[5] طراز من الطائرات.

في غضون ذلك،
يحوم أولاد اللاجئين خلف الأسلاك الشائكة
في مراكز الاحتجاز.
توقّفوا عن الكلام، اداروا ظهورهم للعالم،
تقمطوا بالرمال كالمومياء.

في شوارع أوبرن،
يحتفل العراقيون بسقوط بغداد،
يلوحون بقمصانهم، يبكون.
نساء، سافرات، يتأرجحن
بين الدموع والبهجة، يقلقن
بسبب الفجوة التي انشقت
وكأنها الباب المسحور تحت المشنقة،
يجلسن بجوار هواتف صامتة،
يراقبن الشاشات الخافقة
عبر شوارع تناثرت الأنقاض فيها.

بررت الحكومات مواقفها
بحروب خاطفة ظافرة.
ذهبت تلك الكياسة الفاترة
للمعارك اليدوية، والاستيلاء وإعادة الاستيلاء
على الملاجئ والمستودعات،
وتبادل السجائر،
ومصافحات الأيادي.

هذه الإعانات المخزية، جاءت متأخرة،
نُقلت جواً لأولاد فقدوا أطرافهم،
وألقيت في حُفر كانت ذات يوم منازلاً،
تفيض الآن عن حاجة تلك الرزم
التي تُسحب بأكياس الخيش من داخل القبور الضحلة.

كانت - كما يقال - حرباً "نظيفة".

المكتبة الوطنية، بغداد، 2003

أمس، ملأ الرماد الأسود الناتج عن آلاف الوثائق العتيقة سماء بغداد.
روبرت فيسك، إندبيندنت (لندن)

في غضون الحرب،
لا يخطر ببالك عادة
أمر المكتبات
ورفوف الكتب القديمة،
والمخطوطات المطليّة بالذهب،
والفهارس خشبية

في البدء كانت الكلمة

ما خطر ببالك
حين سمعت لغة التحرير الطنانة
في هذر الصمت بين
سطور الرسائل الرسمية،
كيف يسهل طمس
موقع شعب
في التاريخ

هولاكو، حفيد جنكيز خان،
حرق بغداد، ويقال
إن مياه دجلة تضرجت بالسواد
من حبر الكتب.
والآن، في المكتبة،
نسمع ثرثرة النهّابين
على درج إسمنتي تتشقق من الحرارة؛
عملاء الطيش، تبقبق دنانير نفطهم لهباً.

المصاحف القديمة في المكتبة الإسلامية
تتساقط أكفان رماد،
يحتق الجنود الاميركيون
من عرباتهم المدرعة.
الكلمات ليست من صلاحياتهم،
علامات العبيد تركع على الصفحة.
"بيت الحكمة" أقل شأناً
من أنابيب البترول أو وزارة النفط
لدى هؤلاء المغول الجدد
يفر الأولاد من الأنقاض متأبطين
كتباً ورسائل مخطوطة
خطّ رقيق مدوّر مموّج
من الشريف حسين بمكّة
إلى حكّام بغداد العثمانيين —
جمرات تعصف في الفناء القذر.
تنفكّ لفّات الميكروفيلم كالثعابين،
ومن نوافذ الطوابق العلوية
يتصاعد اللهب مثني قدم نحو السماء.

وحين تقرأ عن مخطوطات
طارت مع الرياح،
وأبنية أتلفتها ألسنة النار،
تنفتح في القلب فجوة.
ماذا عن الكلمات؟
أيها الخطباء البكم، هل ستكون شاهدة،
كبطاقات الهوية المستخرجة من القبور؟

د. **لويز ويكلينغ** شاعرة أسترالية تقيم في سيدني، وتعمل في التدريس. النصوص الإنكليزية الاصلية للقصائد أعلاه نشرت في كلمات 17، آذار/مارس 2004.

Dr. **Louise Wakeling** is a Sydney poet, teacher and biographer whose second collection of poetry, Medium Security, was published by Ginninderra Press in 2002. The original English of the above three poems *Morning Vigil, Here and There, The National Library Baghdad 2003,* were published in Kalimat 17, March 2004. They are translated here by **Raghid Nahhas**.

عصام ترشحاني

شعر

الأشجار المكتوبة

الشاعر

هل قال لعذراوات الأسطورةِ،
أن يرقصنَ،
كما الأبدية بين يديه؟
طفلٌ...
في طقس المحظورِ،
يرجّ الإدهاشَ،
ويلعب بالإحلامِ،
ويرتاب بما أوحاهُ الصمتْ...
طفلٌ...
يسكب ما عتّقهُ الخمرُ
على الشعرِ
ويذهب في النشوةِ
حتى آخر أزهارِ الوقتْ.
طفلٌ،
يستدعي المجهولَ،
إلى وردتهِ...
ثم بإصبعهِ الملعونةِ،
يسبر أغوار الموتْ...

سهم الإبهام

في الهذيانِ،
تُعيد إلى اللذة غيهبها...
هل يُخطئ سهم الإبهامْ؟
في الهذيانِ،
ترى برزخها
وتجسّ وساوسهُ...
لا... جسمٍ،
ولا... لون لنرجسهِ
تيّاهٌ... ما يلمعُ في الإوهامْ
تيّاهٌ
ما تكتبهُ
في الريح يغيب... يغيبُ
ولا يستيقظُ إلاّ
في الأحلامْ...

بريق الموتى

خرجتْ لغتي
من أغوار لا تجهلني
خرجتْ... كامرأةٍ أولى
لتشير إلى يأس الأشياءْ...
كم كانت تقرأ،
ما يتجدّدُ في الأحشاءْ
لغتي...
- والذكرى ماءٌ يتنكّر -
تنأى...
وتسمّي الداءْ...
هل كانت والجرحُ
ينزّ من الرعشةِ
هل كانتْ
ببريقٍ
يرشقهُ الموتى
تمحو أشباهَ الشعراءْ؟

إيقاع الخسف

خافي الريح
ولا شيء سوى
صخبٍ ثلجيٍّ،
ودخان وحشيٍّ،
وسماء خرساءْ...
هل أوقعتُ الوحشةَ،
في شرك الإصغاءْ؟
كانت إيقاعاً للبيتِ،
وللأقداحِ،
وللنار العطشى...
إيقاعاً...
يتبعهُ الشعراءُ
قال الطالع من آهٍ:
كنت على أعذب شبهتها أهذي
والليل على أرجاء بنفسجها يغفو
حين أتاها الخسفُ
رماني الجَنْبُ،
فغابتْ...
سقطت لغتي
من أعلاها
سقط الجرحُ
على الإيقاعِ
سَقَطتْ،
فماتتْ روحي...
ما فاجأني...
أن الأرض ابتكرتها ثانيةً
لتعود – بما لم نقرأ عنهُ
من الأكوانِ –
إلى مهجتها...
كيف إذاً
واللحظة في بطن الحوتِ
سأسرقُ ظِلاً
من عتمتها
وندىً،
من سابع شهوتها؟
كيف سأشعل صوتي
في لُجّة لونهما
لأفجّر ما خبّأه الله من المعنى؟

الشعلة

في الشعلة روحي
فوضى أجنحة الضوءِ،
وموسيقا الأضدادْ...
جَسدٌ للقاح الحلم،
هواءٌ يتلظى،
وخيولٌ...
نحو مصائرها تسعى...
في الشعلة،
ماء القلبِ
وخمرُ المطلقْ...
قلقٌ... ماهولٌ... بالخلقِ...
وحسٌ... أزرقْ...
أوليس أمير النار،
بذلك العزف الغجري،
يشي... بظلامٍ
أدهى شجناً
والذّ سقوطاً
في هذا الوطن المفتوح على المغلقْ؟

حرّاث المبهم

تأتين... كما لغتي السريّة في الحلم،
متاهاتٍ مبهرةً،
يتصاعد منك السحرُ
كأرض فاغمةٍ عذراءْ...
تأتينَ،
فأغمض جفن الكون عليكِ
وحين المصباح الريّانُ
بصوتٍ وردي يتألم
أتصاعد في أصلابكِ
ثوْريةً للنارِ...
أنا... حرّاث المبهمْ.

البيت الآخر للشعراء

في الغرفة،
حيث 'المُتنكّر، والحالم ،والمُتخيّل'
كان الظلّ المتوحدُ فينا
يرتجف كأوراق الماءْ
كانت موسيقاك الخضراء
تُراقص جسدي
وفراشاتكَ،
ترغب أن ينقضّ النجم علينا...
في الغرفةِ،
والوقتُ حريقٌ مقفلْ
تزدادُ العزلة وَعْياً
وأصابعنا البيضاء،
خلاءْ...
يرتفع البحرُ،
إلينا...
والغيمة فينا
تلو الغيمة تهطلْ...

الأشجار المكتوبة

هل غسلتهُ البغتةُ
حين روائحهُ
دارت كالنيزك في دمهِ؟

لن أنسى
ذَهَبَ النبعِ ورغبتهُ أن
يفنى فيها...
لم أنسى
كيف العطر تكسّر
وهو يراها...
كانت...
غامضةَ الغاباتِ،
وواضحةَ الريحانِ...
وكان كشريانٍ
مفتوح للشمسِ
يعود إلى خافقها
كم أمسكَ زقزقةَ الليل الماطرِ
في نهديها
ورماها أشجاراً
موحيةً
فوق الورق الظامئ
كم أوقفَ ما لم يكتبْ بعدُ...
وعلّمهُ أن يسجدَ،
بين يديها...
هل صعقته النشوة... فهوى...
برقاً
أخضرَ في عينيها؟

ماؤك وطني

هل ألقيتَ عليّ المتعةَ،
كي تقرأني؟
أستثنيكَ من العاصفة اليومَ
لأني...
ساكون سريراً
للغيمة... والأنواءْ...
ساكون سوايَ،
لتتلو... جسدي
آه... يا عنب الحيرةِ...
كم نفْسي تلسعني؟
نفسي
تجترح الطلْعَ... وما أخفى...
هل أقدحُ،
بالرعدةِ... لوني؟
يا غربةَ ذهَبي
والشهوةُ خلف جناحيكَ
أنا... جسدي حُمّاكَ
وماؤكَ،
من مَنفايَ،
إلى غاباتٍ لم نكتبها...
وطني...

عصام ترشحاني شاعر سوري يقيم في حلب. عضو اتحاد الكتّاب العرب، وهو مجاز في الآداب، وصدرت له ست عشرة مجموعة شعرية.

Issam Tarshahani is a Syrian poet who lives in Aleppo. He has sixteen poetry collections to his credit. The above poems are: *The Poet, The Arrow of Mystery, The Brilliance of the Dead, The Rhythm of the Eclipse, The Flame, The Tiller of the Mysterious, The Other Poets' Home,*[1] *The Written Trees, Your Water is my Homeland.*

[1] The use of "home" or "house" here is clever, because in Arabic poetry, this is the term used for "verse", as well as "dwelling".

غالية خوجة

شعر

سلام

كاشتياقِ المجاهيلِ
للنارِ
أوْ... للقصيدةِ
مشتاقةٌ لجنونكَ
هل في البنفسجِ
غير الغرابةِ والصمتِ
أنت وقلبي؟
أنا
أسكن الشعرَ،
تسكنُني...
لن يكونَ
وراءَ الجهاتِ،
سوانا...
وراءَ الزمانِ،
سوايَ...
أنا
من تُراقصُ غيبَكَ
أو... تُرعدُ نبضَكَ
هذا فضائي
يهاجرُ فيكَ
فخُذْ

نومي ويومي
وأحلامي المقبلةُ...
كاشتياقِ الصدى للكلامِ
أنا
أمكثُ الآنَ بيني
أراقبُ سرَّ الغوامضِ
تتبانني،
رعشةُ البدءِ
كُنْهي،
تفاعيلُ بحرِ اللهبْ
أنت يا روحَ كوني
سلامٌ عليكَ
ولدتكَ من موتيَ البِكْرَ
فاخرجْ
فضائي إليكَ شهيٌّ
وغنِّ لذاكَ السرابِ
وغنِّ لذاكَ الألمْ.



غالية خوجة أديبة وشاعرة وناقدة من حلب، سوريا. حصلت على عدد من الجوائز تقديراً لإنجازاتها.

Ghalia Khouja is a Syrian writer from Aleppo. She writes poetry, prose, fiction and critical reviews. She won several prizes for her work, from Syria and other countries. The title of the above poem is *Salam* (Salute).

محمود أسد

شعر

الاغتسال بماء الصبر

نزقاً كنتُ،
وكانت شهقةُ ريشتي
تملأ صديدَ خوفي
وخوفي على مرافئ غيري
يُثقّبُ حزنه.
قلتُ لمرآتي
ومرآتي صدى لهواجسي البكماء:
لماذا المسافة أمسَتْ
زيتونةً بيدِ المومياء؟
لماذا الفجيعة ترقص فوق برك الملح والدماء؟

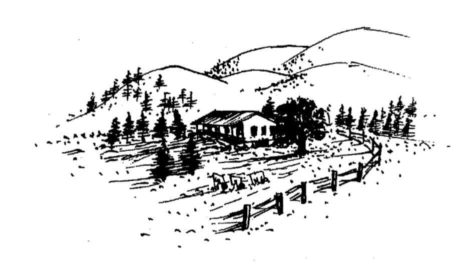
نزقاً أصبَحْتُ،
أمست مراكبُكَ على قارعةِ التقيّؤ
وراحتْ سفائن عشقك
تبحثُ عن نهرٍ عصيِّ المسالك،
تلك البيارق تنشرق خلسةً
بعد غيابِ الغياب
تعصر لوحة من نشيج السراب
وها أنت تمسح خرائط القحط
تلعق وعود النشرات الجويّة...

على قدم تمشي وعلى أخرى تنام...
وما زلْتَ تحسبُ أيامَ الورد
وتحسَبُ بيادِرَ اليباب...

على شفا لوثةٍ من جنون الشعراء
تقبض راحتاك جمر القصيدة
علَّك تُطفِئ بها براكينَ الغواية...
على طاولة جرداءَ من الحسّ
من كلّ أثرٍ شفيف
نجلسُ، عيوننا سهام
أحاديثنا حراب
وعودُنا انهزام...

تلك الوردة جائعةٌ ظمأى
تنقّب نظراتُها في حنايا المكان
هناك عصفورٌ شفيفُ الجناحِ
على فقاعاتِ عمري يسير،
ينطق، يزرع حزنه في قميص الكآبة...
نجوى أمنياتك سِفْرٌ صحراويٌّ
وماءٌ يُروى بقحط الضياء...
سلامُ عينيكِ ببيدرُ ريحٍ
وقمح انبهار...

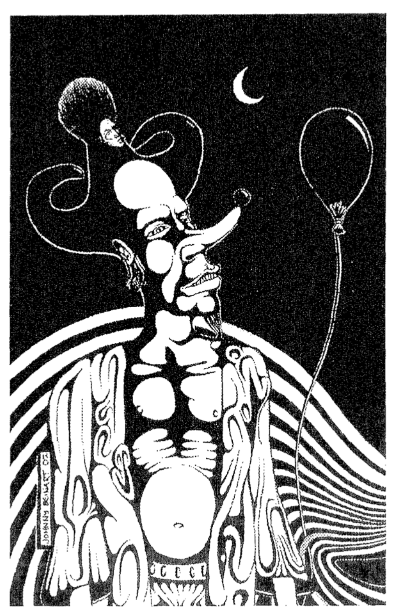
عبثاً أحاورُ حزني
أمضي به إلى جادةِ الآخرِ،
كي أقبلَهُ...
عبثاً ينهمرُ دفء اللقاءِ
فانتِ على مائدةِ الأنا والذاتِ ترقصين.
وأراكِ تُرْقصين رمّانَ الضياع...
لبعضٍ من الوقتِ نبكي ونحكي...
نمشي إلى حيث اسفنج المساء
يعانقنا الخواء والنباح
ويزدرينا يراعُ الطفوله...
نبيع صباحَ الترجّي
نميتُ رصيف النقاء
ونشتري حديداً وصديداً
وذاك نهري يرنو إليَّ
يفاتِحُ عشقي
سوى أنّي رماد.



محمود أسد شاعر سوري من مدينة حلب.
Mahmoud Assad is a Syrian poet from Aleppo. The above poem is titled *Bathing in the Water of Patience.*

جوني باينارت

رسوم



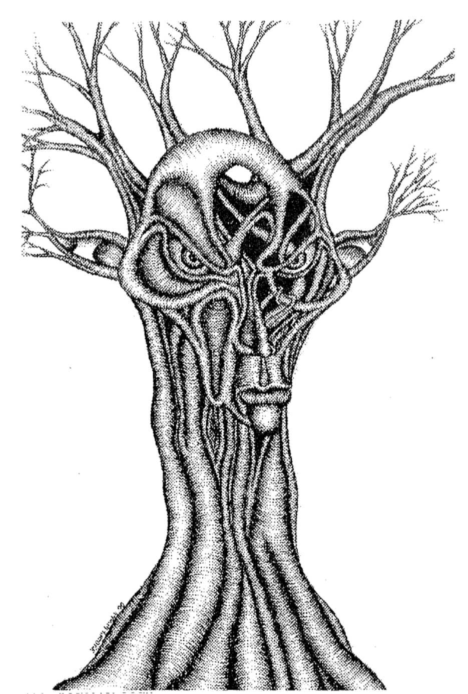
Want a shiny black balloon?
(Felt-tip pen on paper)

أتريد بالوناً أسود لامعاً؟



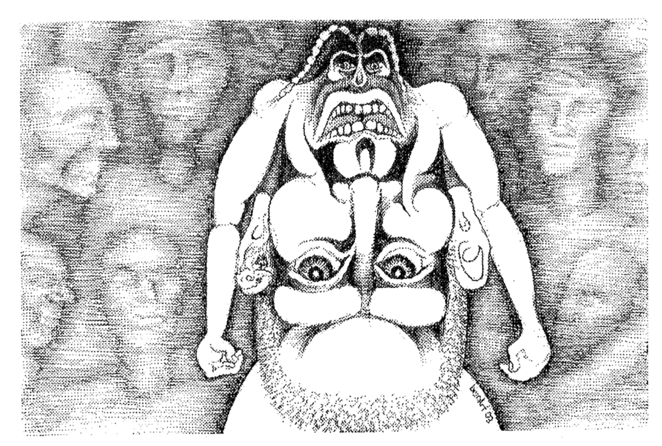
Tribal evolution up the neck of a giraffe
(Felt-tip pen on paper)

تطورٌ قبليّ إلى أعلى عنق زرافةٍ



(Felt-tip pen on paper)

الشجرة الوحش من أجل "جين"



Upside down face man
(Felt-tip pen on paper)

رجل وجهيّ مقلوب

جوني باينارت فنان علّم نفسه بنفسه، عمره 24 سنة. يكسب عيشه من بيع رسومه، وتصميم وتنفيذ أغلفة الكتب والنشرات. يعتبر أن الرسم بالنسبة له 'عملية تاتي من اللاوعي. أعرف ماذا افعل، فقط حين أصل إلى منتصف اللوحة، أو نهايتها. هذا يعطيني بصيرة داخل عقلي الباطن، وهو امر اعتبره مهماً لاكتشاف الذات والتطور العاطفي. أرسم لانني أعشق الرسم. أحب ان أخلق عوالم صغيرة وأشاهدها تكبر أمامي حتى النضج.'
يمكن زيارة موقعه على الإنترنيت، كما هو موضح أدناه.

Johnny Beinart is a 24 years old self-taught artist who lives in Melbourne, Australia. He can be visited at his website **www.beinart.com.au**

رغيد النحّاس

بهلوانيات

خواجا خليل

كنت في سنواتي اليافعة أمضي بعضاً من فترة العطلة المدرسية في متجر أبي الواقع في سوق من أسواق المدينة القديمة. كان والدي يتعاطى بيع القماش، بينما كان جاره الخواجا خليل يتاجر بالحرير.

كانت النعمة واضحة على الخواجا خليل الذي كان يحضر يومياً بكامل أناقته، ويقضي معظم وقته وراء مكتبه وأحياناً يخرج كرسياً يجلس عليه في مدخل متجره. كان يبيع بالجملة، فلا يتعاطى مع المشترين وجهاً لوجه كما هي حال أبي.

كنت أغتنم فرصة جلوسه خارج المتجر، فأتحدث إليه حين كانت تسمح الظروف. وكنت أفاجأ دائماً بتصرفه حين كان يحضر جدي لزيارة ابنه (والدي) في متجرنا. الخواجا خليل، الأنيق، المتعجرف، الذي لا يهتز للعالم الذي حوله، ينتفض فجاة ويقف مسرعاً للسلام على الحاج رضا.

الحاج رضا هو مؤسس التجارة التي كان أبي واخوه يتعاطيانها في ذلك المتجر. وبما أن الخواجا خليل أكبر من والدي بقليل، كنت أعتقد أنه يقدم واجب الاحترام للحاج رضا الذي كان بعمرٍ يمكنه أن يكون والد الخواجا.

سألت الخواجا يوماً: 'كيف تعرفت إلى جدي؟'

أجاب: 'كنت أتاجر معه في خيوط الحرير. كان جدك من أهم تجّار الحرير في البلد. ويمكن القول إنني تتلمذت على يديه.'

قلت: 'ولكنه يعمل مع أخيه في المتجر الثاني الذي تملكه عائلتنا، ولا أرى أثراً للحرير هناك.'

قال: 'لقد توّقف عن مزاولة ذلك منذ فترة طويلة. الحرب العالمية غيرت موازين الأمور، كما أن جدك تقدّم في السن.'

قُلتُ له ببراءة الأطفال: 'ولكن بالرغم من أن أوضاعه المالية جيدة، يبدو أنك سبقته باشواط بعيدة، فأنت التاجر الوحيد هنا الذي يُقال عنه "مليونير".'

ضحك ضحكة كأنها الرعد في عصر يوم صيفي، فاستدارت وجوه المارة نحونا، وهو يلّف رجلاً فوق الأخرى، ويُدخل بعض أصابع يديه في جيبي صدّارته التي ما استطاعت أناقتها هي وربطة العنق الحريرية، إخفاء الكرش العظيم الذي يحمله الخواجا خليل. ثم قال: 'إسمع هذه الحكاية إذن، فربما تعطيك الجواب الشافي.'

أحضرت كرسياً وجلست إلى جانب الخواجا استمع إلى حديثه بشغف شديد.

قال وفي عينيه إسقاطات نحو الماضي، وشفتاه تسترّقان وتتغالظان وهو ينتقل بين تعابير الافتخار

والتعجّب: 'أبان الحرب العالمية، عقدت مع جدك صفقة كانت في حينها أكبر صفقات حياتي، اشتريت منه كميّة كبيرة من خيوط الحرير. اتفقنا على السعر، وكان البيع بيننا يتم بناء على الكلمة، فلا عقود مكتوبة، ولا شهود. كما أنه كان بإمكاني استلام البضاعة كلها والدفع فيما بعد. أي أن الأمور كانت مرتاحة جداً. عشيّة ذلك اليوم تسببت أحداث الحرب بارتفاع هائل بأسعار الحرير وصل إلى أضعاف ما اتفقت عليه مع جدك. أصابني الهلع، ولم أنم طيلة الليل لأنني لن أستطيع شراء ما اتفقنا عليه، وحتى لو استطعت زيادة مبلغ الشراء أكون من الخاسرين. كنت أعلم أن جدّك ينهض قبل الفجر لأداء صلاة الصبح، ولذلك ما استطعت الصبر حتى تشرق الشمس، بل اتجهت إلى منزل جدك وأنا أبتهل إلى المسيح والعذراء وأرسم شارة الصليب. طرقت الباب بشدة، وأنا أعلم أنه لن يستجيب إلى الطرق في هذه الساعة المبكرة سوى سيّد المنزل. سمعت وقع أقدامه المميز، فتحرّكت معه دقّات قلبي. فتح الحاج رضا الباب وهو يبتسم ابتسامة تجمع بين المرح والسخرية والاعتزاز بالنفس. تظاهر بأنه لا يعرف، وقال لي مداعباً: "ما سر تشريفك لنا والصبح ما حلّ بعد؟" قلت له "يا حاج... هل سمعت... أنا تحت رحمتك..." واصل ابتسامته، وقال: هل تتحدث عن جنون الحرير؟ قلت: "وأيّ جنون يا حاج. هذا شيء ما حصل من قبل." "ومتى حصل بالضبط؟" قلت: "بعد ساعات من اتفاقنا." قال: "إذن ما علاقة ذلك باتفاقنا؟" قلت: "ولكن ياحاج، إذا قبلتَ بالسعر الذي اتفقنا عليه تخسر الكثير!" قال: "هذا نصيبي. أنا بعتك، وأنت اشتريت. اتفقنا وباركنا عقدنا. وكوننا لم ندونه لا يبدل شيئاً في نظري. إذهب إلى نومك، واتركني لصلاتي." أحب أن أعترف لك أنني لو كنت أنا مكانه لما قبلت بما قبلَ به، ولذلك تراني حيث أنا وتراه حيث هو.'

أجبت الخواجا خليل، وأنا أشعر بغيظ شديد (من كلا الرجلين) ممزوج بإعجاب كبير (بجدي فقط)، وبعض التقدير للخواجا الذي اعترف بالقضية: 'من الناحية المادية فقط. من الناحية المادية.'

صمت الخواجا خليل صمتاً ظننته أبدياً، وسررت أن أبي ناداني لحظتها، فتركت الخواجا خليل دون حاجة لمزيد من الإحراج.

بدأ **رغيد النحّاس** كتابة "بهلوانيات"، وهي سلسلة من المقالات الانتقادية، المعتمدة على التجربة الشخصية، مكتوبة بشكل قصصي، حين وجه إليه السيد **حسن موسى** (حالياً رئيس مجلس الجاليات الأسترالية-العربية في سيدني)، عام 1993، دعوة لكتابة بعض المواد لنشرها في "المنبر"، النشرة التي كان يصدرها المجلس. وقد تمت كتابة ونشر بعض المقالات في حينه، وتوقفت حين توقفت النشرة. والمقالة (أو "الحركة" طالما أننا في مجال "البهلوانيات") أعلاه بداية سلسلة جديدة.

The title of the above article is *Khawaja Khalil* (Gentleman Khalil). **Raghid Nahhas** started writing a series of articles under the title "Clownish", when **Hassan Moussa** (Currently Chairman of the Australian-Arabic Communities Council in Sydney), in 1993, invited him to contribute material to "Al-Minbar", a newsletter published by the Council. The above is the first of a new series of articles, written in a story-like style. These articles, based on Nahhas' personal life experience, are generally about social, intellectual and political criticism.

جين ل. مونيير

قصة ترجمها رغيد النحّاس

أفكار على القماش

بالإضافة لكونها صيّادة أرانب، كان حبّها الأول رجل حوالات نقديّة. وهو صديق لوالدها شأنه شأن كلّ الرجال الذين يشغلون دائرة معارفها، وكان معروفاً باسم جيمي فيذرز.

طبعاً لم يكن هذا اسمه الحقيقي، فرجال الحوالات نادراً ما استخدموا أسماءهم الحقيقية. بعضهم قال إن اسمه جايمس فيذرستون-بيو، وقال آخرون إنه جايمس فيذرستون-بيرسي. 'واحد من البيرسيين الحقيقيين، كما تعلمون.' الجميع اتفق على أنه الابن الأصغر لابن أصغر، وطبعاً كان معلوماً تماماً كيف انتهت حالة عدد لا يستهان به منهم. فالتعويض لمن يذهب إلى أستراليا، مع وعد دفعات فصلية لا تنقطع حتى الممات أراح العائلة من بعض ارتباكها المالي.

قدم لها قلم رصاص برأس ضاغط، عليه الحروف الأولى من اسمها، واعتقدت أنه من ذهب. كانت جنيفر فرانسيس بارك لم تكمل بعد سنوات عمرها الخمس.

عند فتل رأس القلم يمكنك إظهار الرصاصة، جاهزة للكتابة. وحين تكبس وتفتل من جديد، تجد خزّاناً للرصاصات يمكن استعمالها حين تتبدد السابقة. قالت أمها إنها أعجبت بالهدية إعجاب والدها بمحرك سيارته الجديدة من ماركة "موريس كاولي".

وهكذا بدأت تخطّ وتتدرب على كتابة الأرقام، مستخدمة أوراق فواتير وجدتها الخادمة مرمية في مقلب القمامة، مطبوع عليها عبارة "جون روبرستون، تجارة عامة وأدوات معدنية". وتحت هذا العنوان خطوط وأعمدة قيل لها إنها ستكون مفيدة حين تتعلم الجمع الحسابي.

علّق والدها بقوله إن جاك روبرستون الأب كان طموحاً — خمسة مواعين من الورق لخمسة شهور من التجارة. ياللخسارة.

تدربت بادئ ذي بدء على الرقم ثمانية. قالت لها والدتها أثناء حضورهما لعبة الكرة أن تراقب اللعب عن كثب. أن تراقب والدها الذي لم يكن بطول الآخرين، والذي يحمل الرقم 8 على قميصه، ويلعب كطوّاف. 'يمكنه اللعب في كل أنحاء الملعب، ولذلك راقبي جيداً.' حسناً، كان هذا والدها بالتمام والكمال، قصيراً مغروراً. يقحم نفسه في كل شيء وفي كل مكان. الرقم ثمانية سهل؛ بيّنت لها والدتها. دائرة صغيرة فوق أخرى. مجرد أن تخطيهما تحصلين على الرقم. أما صَقْل الموهبة فيأتي لاحقاً.

إذاً ما هو رقم عمك هاري؟ أحد عشر؟ هذا سهل جداً، خطان مستقيمان فقط. وجيمي فيذرز؟ سبعة، جرّة قلم مستقيمة وأخرى صغيرة إلى اليسار في الأعلى، هكذا.

'رقم الشيطان،' قال والدها، محكماً عينيه على عيني والدتها مضايقاً.

قال العم هاري: 'يحسن بك أن تجعليها تبدأ من البداية.'

وهكذا بدأنا من جديد، هذه المرة من الرقم واحد، فتعلمت الأرقام إلى العشرين. وتعلمت من يلعب وأين يلعب، وكيف تعرف الوقت من ساعة الحائط.

وتقدمت ثقافتها تقدماً ملحوظاً، مع وجود عدد كبير من سكّان المنزل وعدد أكبر من الزوّار قادمين مغادرين، كلّ يساهم بتقديم جزء من المعرفة هنا وجزء هناك. كانت تتعلم أكثر مما يمكن أن يتوفر لها في المدرسة النظامية، قال والداها واحدهما للآخر. واستطاعت كتابة كل شيء تعلمته، وأن ترسم الزهور البرية التي كانت تجمعها مع "كوني".

الخادمة الإنكليزية، كونستانس، حضرت مع حمولة سفينة من الشابات العازمات على إيجاد عمل – وعلى أزواج – في المستعمرات. ما سبق لأحد أن أخبرهن أن الكساد الاقتصادي اكتسح أرجاء المعمورة، وأنه من شبه المستحيل إيجاد عمل في المدن. وهكذا جاءت الشابة من مانشستر إلى "ماللي"، وهي لا تزال في مرحلة اكتساب الخبرة. ومن أهم الأمور، أن لا تذكر "المستعمرات"، بحق السماء. أولم تكن أستراليا عندها قد أمضت ثلاثين سنة بعد إعلان الفيدرالية؟

كان من المفترض أن تتسلم كوني الأعمال المنزلية من الأم التي كانت تدير المتجر، تبيع الخبز والكعك وأحياناً تساعد في المخبز – بواسطة تزيين الكعك والأرغفة التي يتم تناولها مع الشاي. ذلك حين لا يكون الجوّ شديد الحرارة.

لكن الوالد والعم هاري، مهما كانت حالة الجو، كانا يعجنان ويمزجان مختلف الخلائط التي تصير فطائراً و"إكلير" و"بيتي فور".

سبق أن بني المخبز أولاً. بدا على أنه كبير وبارد. في إحدى نهايتيه تربع الفرن، وفي النهاية الأخرى مناضد من الصنوبر المفروك، فيها أحواض خشبية يتم فيها عجن الخبز وتركه حتى ينتفخ. ولكن حين يتم إشعال الأتون، إلى يمين تلك الفوهة القرميدية الضخمة التي كانت تشكل الفرن، يصبح كلّ شيء غير محتمل. عندها يطلب إلى جينفر أن تبقى بعيدة، لا تتخطى عتبة المخبز.

كان جيمي فيذرز يقوم أحياناً بقطع الجذوع من كومة الحطب في الفناء. كان يفرك يديه، وحين كانت ترقبه بقلق كان يضحك ويخبرها أنه كان يجمع صلابة فوق صلابته.

قال والدها إن هذا كلّه مفاجأة، لكن جيمي لم يكن ممن ينشكون. أمّا ما قام به في بلده فيخصّه وحده ولا دخل لأحد فيه.

كان جيمي يعتني بالخزّان تحت الأرض أيضاً. يتأكد أن ماء المطر يصل للأسفل؛ يتحرى المستوى ويتأكد أن الغطاء لم يتحرك بفعل الرياح. الخزان، أيضاً، كان كهفاً مسحوراً.

كانت جينفر تعتقد أن وحشاً مائياً يعيش هناك، وأنه سوف يصعد إلى السطح يوماً ويخور. أو تعتقد أن الوحش لن يظهر أبداً، بل تنزلق هي نحو الأعماق التي تمتصها مصاً دون أن يراها أحد بعد ذلك قط. ترتجف.

حين رأى جيمي رجفانها أمسك بذراعيها، 'تماسكي يا صبيّة، ما هذا الذي ألمّ بك؟'

أخذها على محمل الجد، 'وحوش مائية؟ كلاّ، لا يمكن أن تتواجد في خزّان مخبز في ماللي. تعيش في جداول وأنهار الأرياف المرتفعة. هناك في مناطق بوغونغ وبوفالو – تلك بلاد الوحوش المائية.'

صدقته وذهبت تراقب كوني تضرب السجّاد المعلق على حبال الغسيل. مع بداية كلّ فصل تظهر السجادات؛ على النحو الذي تظهر فيه الأصناف الجديدة من الأزهار البرية فجأة عند حلول الفصل الجديد.

بحثت هي وكوني عن الأزهار البرية واستطاعتا العثور عليها. وأراها جيمي كيف تجففها وتصنفها.

دعاها "مجموعتها الأولى"، وحدثها عن مجموعته من الطوابع البريدية التي يحفظها في البوم في صندوقه البحري، وأنه سيريها لها في يوم من الأيام.

سبق لجينفر أن شاهدت صندوقه البحري، حين أخذت هي وكوني طائر "غالاه" مكسور الجناح إلى خيمته. جبّر الجناح ووضع الطائر في قفص موقّت. أكدّ لهما أن الأمر محزن، لكن كلّما خفت حركة الطائر كلّما تسارع شفاؤه.

وقتها غضبت الأم غضباً شديداً: 'يجب أن لا تذهبا هناك مرّة ثانية. هذا أمر غير مستحب.'

شعرت الأم أنها كانت مسؤولة عن كوني وكانت تلاحقها بقبعات بيضاء منشّاة لتقيها من الشمس؛ بنفس الطريقة التي كانت تلاحق بها جينفر. هذه الأم غير مستعدة لتكرار ما كان يحصل لزوجات سائقي الماشية[1] الأنكلوكيلتيات اللواتي كانت بشراتهن تتحمص تحت الشمس الأسترالية فتصبح كالجلد. كانت تؤمن باتخاذ الحيطة، ولايجب على الفتيات اللطيفات الاقتراب من مخيّمات صيادي الأرانب في أي حال من الأحوال.

سبق لجنيفر أن دُهشت لأناقة المخيّم. سرير مصنوع من ستة أغصان متشعبة مغروسة في الأرض، والشعاب تحمل عمودين يخترقان أكياس طحين فارغة. الأغطية انتشرت فوق ما يشبه فراش القش فوق الأكياس، والصندوق البحري جُعل طاولة إلى جانب السرير. وتدلى من عمودي الخيمة قنديل ورف كتب.

نجد في الخارج منضدة مصنوعة من فروع شجيرات يافعة، فيها حوض للغسيل وأدوات حلاقة. وعلى منضدة أخرى نجد أطباقاً وخزنة "كولغاردي"[2]. رماد النار الصباحية بارد بين حجرين كبيرين.

ترك هذا في نفسها أعظم الأثر فصنعت نسخة مطابقة عن المخيم. التمست من والدها الحصول على أكياس طحين، فجعلت منها خيمة، ووضعت فيها أثاثاً صنعته من كومة الأخشاب. أرادت النوم هناك ليلاً؛ وغضبت كثيراً حين مانع والداها.

صائد الأرانب المدعو "تيد" معجب بـ"كوني"، على حدّ قول عمّها، لكن والدتها نفت ذلك قائلة: 'كوني ليس لها أية رغبة في تيد. كلا، على الإطلاق.'

ولهذا كان من الممكن لكلّ من جينيفر وكوني الذهاب مع تيد إلى حيث مصائده ليلاً.

قال العم هاري: 'لا زالت صغيرة لتلعب دور الوصيفة.'

'حسناً، لا يمكن لأي رجل شريف أن يستغل كوني حين توجد معهما بنت صغيرة. كما أن هذا يبعدهما عن جيمي فينزر. يمكن أن يقعا في عدد من المآزق مع هذا الشخص.'

لكن العم هاري قال: 'كفاك يا إيمي. يريدني أنا أن أزور مخيمه. يدعوني للطعام على حد قوله.' توقف حين رأى جينيفر تحدق بالواحد تلو الآخر على طريقتها.

وهكذا، بعد العشاء في الليالي المنعشة، حين تكون السماء سوداء كالحبر وآلاف النجوم تسطع مطلة عليهما، كانتا تتمشيان حول مصائد تيد. لكل مربي أرانب حدوده الخاصة، التي لا يتعدى عليها أحد.

أدارت جينيفر رأسها حين كانت الأرانب تُقتل. حاولت أن لا تستمع إلى صرخاتها. وما كانت ترغب

[1] هنا اقتباس من قصة هنري لوسون القصيرة "زوجة سائق الماشية".

[2] خزنة تم اختراعها في مناجم الذهب المعروفة بـ"كولغاردي"، من صواني معدنية محاطة بخيش يرطّب بالماء لحفظ الطعام بارداً بداخلها.

في النظر إلى الطريقة التي علقت بها متدلية من حزام تيد، أو الكومة التي وُضعت فيها بانتظار سلخها في الصباح التالي. يبدو أن الأم نسيت ان مخيّم تيد كان وسط هذه الدائرة من المصائد. كما يبدو أنها نسيت الجوانب العملية لصيد الأرانب.

وكانت الأم غريبة الأطوار بالنسبة لحيوانات المزارع أيضاً. كانت بصحبة جينيفر عند آل جانزن في عصر يوم من الأيام، حين العلجوم... ركز نفسه فوق ظهر "غريسيلدا" البطة الأليفة المسكينة خافق الجناحين، ضاجّاً طاحناً...

سبق أن نادى هيرب جانزن أخاه الأصغر قائلاً: 'يا بيتر، تعال وراقب رومبيل "يجتّف" غريسيلدا.'

أرادت جينيفر أن تشاهد أيضاً، لكن أمها أشارت، 'تعالي بسرعة يا جينيفر، إلى الداخل.' تبعتها جينيفر محتارة.

وفي مرة أخرى بعد عشاء عيد الميلاد في حديقة آل ميلور، حصلت معركة ذات ضجيج، حين ما عاد الثور الأبيض يقدر كبح شهوته فركب جيرسي، البقرة الصغيرة المدللة. كسرت تلك الحادثة سحر ذلك الوقت الناعس المخصص للهضم والراحة، فالرجال تهيجوا واندفعوا لمساعدة العجلة الصغيرة.

والأم، تفرّق منادية: 'جينيفر... هيا إلى الداخل،' والسيدة ميلور رمقتها بنظرة حادة قاسية ودمدمت، 'ياله من موقف.'

انتشر البناء حول المخبز. أضيفت شرفة إلى المنزل، وبني متجر آخر إلى جانب الأول. تم تأجير المتجر الثاني للحّام أيام القطار؛ وفي تلك الأيام أيضاً، أقام فاكهاني أمهق كشك فاكهته وخضاره على الشرفة الجديدة.

الأمهق أثار قلق جينيفر. تلك العيون الزهرية اللون.

أكدّ لها والدها: 'لا خوف منه، يمكنه الرؤية في الظلام. المشكلة حين يقود سيارته في الليل دون إضاءة المصابيح الأمامية، لكن لا بأس عليه.'

كانت الشرفة مفيدة بشكل خاص في أمسيات أيام السبت. عندها تتحول إلى غرفة انتظار. والدها كان معروفاً على أنه أفضل من يقوم بالاسعاف الأولي في المنطقة، التي لم يكن يتوفر فيها أي طبيب إلاّ لعدة أميال. بعد مباراة الكرة، التي كانت تتم في ملاعب خالية من العشب، تتوافد الإصابات، ويقوم والدها بالتعقيم والتضميد والتركيز والتجبير.

وكان الرجال الذين يحضرون زملاءهم إلى أبيها يشعلون النار ويغلون الماء. كانوا أيضاً يضيفون شيئاً للشاي. شيء يحضرونه من معمل التقطير الواقع خلف كثبان الرمل، قريباً من الدرب المؤدية إلى حارة "أولد من بيرسون". كانوا أحياناً يعربدون لساعات طويلة.

وسرت إشاعة أن الشراب هو ما جلب جيمي إلى أستراليا، بالرغم من عدم مشاركته الآخرين في الشرب. ولذلك، حين احتاج تيد تجبير كاحله ذات ليلة، واعتقد الرجال أن المسكين لن يستطيع التجول بين مصائده، تبرع جيمي بالذهاب. ولما كانت الأم مشغولة لم تلحظ أن جينيفر وكوني ذهبتا معه.

كانت الليلة مختلفة. كل واحدة منهما أمسكت بيد من يدي جيمي. لكن النجوم كانت هناك، كبيرة، والدرب مألوفة.

غنّوا أغانياً كان جيمي يغنيها فقط، وألقى قصيدة طويلة حول قاطع طريق، وتساءلت جينيفر عن الجريمة التي جاءت بجيمي إليها من أقاصي الأرض.

وكانت الليلة مختلفة أيضاً، بطرق أخرى. كان تيد دائماً يترك الأرانب خارج الخيمة تماماً. يتركها نظيفة جاهزة للسلخ في الصباح؛ ثم يعيد البنتين إلى المنزل بسرعة.

بسرعة، حتى كأنه هو الآخر، مثل الأم، خائف من قرب الخيمة، من خصوصيتها ومن مودتها.

ترك جيمي الأرانب على مسافة واضحة، وأشعل النار التي أعدها تيد ذلك الصباح. وضع ماء في الغلاية ونفخ غليونه بينما كانوا ينتظرون. ثم شربوا الشاي، يستحسنون رؤية النجوم، التي بدورها نظرت إليهم من الأعالي، مضيئة من السماء الداكنة السواد.

نامت جينيفر حالاً بعد ذلك.

ضجّة أيقظتها ووجدت معطف جيمي التويد القديم ملفوفاً حولها، وبعض الملابس التي كان تيد يخزنها في كيس سكر قديم تحت رأسها كوسادة. النار تدخن دون لهب، لكن القنديل لا زالت ناره تخفق في الخيمة.

نعسانة، راقبت الخفقان متأملة أن تعاود سماع تلك الضجة التي أزعجتها. ثم جاء من الخيمة أنين ضئيل وصوت كأنه نشر الحطب بالحطب، شجيرة ضد شجيرة. وتعاظم حجم الظلال على جدران القماش.

تذكرت الثور الأبيض مع العجلة الصغيرة، والعلجوم مع غريسيلدا.

عكست الظلال ضراوة الاهتياج. كانت الأصوات بدائية لكنها فرحة- أصوات ذات إيماءة. على عكس الأصوات المنفرة التي تشبه مواء الأرانب الموجوعة.

لكنها كانت تعلم أنه من المفروض عليها ان لا تسمع الأصوات القادمة من الخيمة، وأن لا تكون جزءاً من الحميمية داخلها، لهذا استدارت وتظاهرت بالنوم.

عندما خرجا من الخيمة التقطها جيمي لكنها قاومته وطلبت أن يتركها. أوليست ذات الخمس سنوات وجاهزة للذهاب إلى المدرسة؟ لم تعد طفلة، ولتثبت ذلك، نطقت بكلمات والدها المحرمة وقالت: 'يا تافه.'

باقترابهم من المخبز كان بإمكانها رؤية أن الرجال غادروا الشرفة. كانت مسرورة لمغادرتهم، وسعيدة أن ترى والديها عبر النافذة المضيئة وهما يرتبان المكان.

وبالرغم من عدم تمكنها من وصف الأمر بالكلمات، عرفت لأول مرة نوعاً جديداً من الخشية. خوف لم يسبق له وجود من قبل، وركضت نحو الضوء ووالدها، وبعيداً عن جيمي، حبها.

جين ل. مونيير كاتبة من ألبيري في ولاية نيو ساوث ويلز الاسترالية، وهي خريجة علم نفس وآداب. مارست تدريس الكتابة الخلاّقة والآداب، ونشرت عدداً من المواد الادبية، ونالت جوائز على بعض قصصها القصيرة.

ربحت هذه القصة الجائزة الأولى مناصفة في حفل جوائز حاكم ولاية فيكتوريا للقصة القصيرة عام 1986، ونشر نصها الإنكليزي الأصلي كما هو موضح أدناه.

Jean L. Menere is a graduate of psychology and literature. She has tutored in Creative Writing and Literature, had several pieces of writing published and received awards for short fiction. Her writing has been included in the anthologies, *ReCollecting Albury Writing* and *New Albury Writing*, edited by Jane Downing and Dirk Spennemann, published by Letao. She has recently contributed to the project *Murray Time*, a "progressive novel". Planned and edited by Jane and Dirk, it was a novel to which sixteen local writers each contributed a chapter, with cover design and illustrations by seventeen local artists.

The original English of the above story, titled *Reflections on Canvas*, was published in *The Art of the Story*, ABC 1989. It came equal first in the *Victorian Premier's Prize for Short Fiction*, 1986. The above translation is by **Raghid Nahhas**.

هياسينث أيلوود

قصة ترجمها رغيد النحّاس

الطريق إلى "غليب"

فقاعات من القار تنفقئ من شدة الحرّ وتقطر على الميازيب الإسمنتية على حافة الطريق إلى غليب. كانت الساعة الحادية عشرة من صباح يوم أحد، وكانت مجموعة من السيارات اللميعة حديثة الطراز تزيد على الوهج وهجاً خارج الكنيسة المعمدانية. كان الهواء مُحمّلاً بالغبار والضجيج.

على الجانب الآخر من الطريق، إحدى الجرّافات تزيل بمخالبها الطفيليات النباتية المتسللة في دربها، لتستطيع الوصول وهدم آخر كوخ طيني في بلدة "آدامستاون" التعدينية القديمة.

منذ مئة سنة، استطاع أحد عمّال مناجم الفحم أن يدّخر من راتبه فيشتري رقعة أرض، والأرض صارت منزله.

بنى كوخه على مكان مرتفع مستعيناً بالطين من جدول تغذي مياهه أشجار الأوكاليبتوس، التي كانت تغطي التلال في ناحية الغرب. شق الجدول طريقه منحدراً عبر الجانب المنخفض من أرضه، مروراً إلى تحت جسر خشبي، ثم استوى منتشراً فوق مرج عريض مليء بالبط البريّ وزنابق الماء.

كان، بعضلاته الفتية القويّة التي نمّاها في المناجم تحت الأرض، يستخرج الطين من الجدول فإذا ما آلمته ذراعاه وظّف قدميه في قلب وعجن الوحل الرطب، ليصيّره قطعاً مربعة متقنة يتركها بعدئذ لتجف في ظل أشجار الشاي.[1]

كان يعمل وينتظر بصبر، لأنه كان عازماً على الزواج. اختار ابنة عامل مناجم؛ رجل تعدين مثله.

تم زواجهما حين أنهى غرفتين رماديتين مناسبتين، ثم قاما معاً بقياس الآجر ومعه مدى تقدمهما. غطّسا فَراشيَ بمماسك طويلة في وعاء من القار الأسود، وبلمسات سريعة مرحة عزلا الجدران عن عوامل الطقس. ملأت رائحة القار الساخن الجو، وتحول البيت الرمادي الصغير إلى أطلساني أسود.

وجلست ابنة المُعدّن تحبك الأنسجة الجميلة لتزين بها الرفوف التي صنعها زوجها من صناديق الديناميت، التي كانت تحوي يوماً المتفجرات التي استعملت تحت الأرض. وكان نسيجها على غاية في الدقة، فبدا أنه يناسب تزيين مذبح كاتدرائية.

زرعت كبّوسين[2] برونزياً وأصفر لتزهر جانب الجدول، ثم رتبت الزهور التي كانت تجمعها في آنية خزفية لتلامس حافة النافذة الطينية الحريرية الملمس.

---

[1] أشجار استرالية تستخرج منها زيوت مفيدة، وهي ليست الشاي الذي نشربه.

[2] نبات يحمل أزهاراً ملونة وثماراً تُكبس. يسمى أيضاً "ابو خنجر"، واسمه اللاتيني "نستورتيوم".

صدرت التعليمات أثناء الركود الاقتصادي العظيم للعاملين البدلاء، أن يعملوا على ترميم المسالك السيئة، فصارت جلبة الألواح الخشبية المتواصلة تعكّر صفو نوم الناس في المنزل الطيني القابع على الطريق إلى غليب. وصدرت تعليمات إلى رجال يحملون المعاول والمجارف، بمدّ طريق إسمنتية من أجل العربات الآلية التي أخذ تعدادها يتزايد يوماً بعد يوم، وتبع ذلك عزل الطريق بالقار من جانب إلى جانب، مما أخفى آثار أي مجرى مائي.

ومع هذا كله، صمد الكوخ الغريب الصغير على حافة الطريق إلى غليب.

بعد انتهاء الطقوس الدينية في الكنيسة، بدأت محركات التشغيل الضّاجة تستجيب للبطاريات المشحونة برخاء ملآكي السيارات. كان بعض الأبرشيين يتوقف صامتاً على ممر كان يسير عليه رجال طال نسيانهم.[3]

عجوز، تنوء بحدبة أرملة تعبة، تدسّ مؤشرة كتاب داخل إنجيل مستهلك وتترك الجمع. تتخطى دون تفكير خليطاً من قبعات حمراء وغبار متجهة نحو الجانب الآخر، وحين يضطر سائق شاحنة محملة بألواح رياضة "ركوب الموج" للتوقف المفاجئ بعد إصابته بالذهول بسببها، يطل بوجهه الذي حرقته الشمس وبشفتين من الزنك الأبيض، فيصرخ غاضباً بكل كراهيته وألفاظه القذرة.

تصل إلى الرصيف فتجلس مرتعدة بين الحطام، حتى تتمكن من إبطاء ضراوة دقات قلبها المتلاحقة. تمسد وتربت وجه قرميدة عتيقة، بينما ترشح لطخ دموعها السوداء إلى شكلٍ من أشكال اليأس.

تدمدم: 'من التراب وإليه ياجدي، عليك الرحمة.'

تقف على رِجلين مهتزّتين لتراقب دواليب الجرافة العملاقة، تعكس اتجاهها لتكبس على الأرض تاركة آثارها في الغبار الرمادي. تهرس الدواليب طرف تنكة دبس صدئة، وتسحق للمستقبل حفنة من بذور الكبوسين.

هياسينث أيلوود كاتبة من نيوكاسل، أستراليا. سبق نشر الأصل الإنكليزي للقصة أعلاه كما هو موضح فيما يلي.
Hyacinth Ailwood is a writer from Newcastle, Australia. The above story, *The Road to Glebe*, is translated by **Raghid Nahhas**. It was published in the fiction section of *The Newcastle Herald*, 03/01/04.

---

[3] إشارة إلى عمال مناجم الفحم.

غريغ بوغارتس

قصة ترجمها رغيد النحّاس

كعكة عيد الميلاد

في نهاية حارة مرصوفة بالحصى الأسود، تتفرع عن مؤخرة شارع في "رينتشموند"، يقع مرآب صغير مصنوع من قصدير وخشب، أمر لم يكن مألوفاً وقت الركود الاقتصادي الكبير. داخل المرآب، وتحت الوهج البرتقالي لمصباح كهربائي وحيد، يكدح رجل بتفكيك وتركيب قطع غسالات وبرادات مستعملة. هذا كل ما هو ملّم به، وكل ما قام به منذ أن وصل إلى سنّ مكنته من ترك المدرسة وراء ظهره.

يتصبب عرقاً تحت أشعة الضوء البرتقالي الضعيفة، بالرغم من الصقيع داخل ذلك الكوخ المعدني. ويبدو أن جسمه كان غير مبال بالبرد، خصوصاً أنه كان يرتدي سروالاً قصيراً، وقميصاً قصير الكمين، وفي قدميه سير قُدّ من البلاستيك، لكنه ينحني لا تخونه العزيمة في تصميمه على إنهاء إعادة تثبيت أجزاء الغسّالة سوياً بعد أن أصلح محركها. الغسالة تخصّ السيدة اليونانية التي تعيش على مسافة تبعد ثلاثة شوارع عنه. بعد أن ينتهي من تجميعها سيرفعها بمفرده ويحمّلها على عربة يدوية تنتظر خارج باب الكوخ مباشرة.

تراود بعض سكان رينتشموند فكرة تحيرهم أو تقلقهم، وهي أن العربة يمكن أن تسرق طالما أنها تترك بعيداً عن أنظار صاحبها. لكن الرجل، الذي يتصبب عرقاً فوق الغسالة، يعرف أنه من غير الممكن لأحد أن يأخذ العربة لأن كل الناس يعرفونه في هذا الجوار، ويحترمونه. الأمر مفروغ منه، بعد مرور خمس عشرة سنة على وجوده بينهم!

العجوز اليونانية، التي تعيش على بعد ثلاثة شوارع، تعرف أن غسالتها ستعود إليها وقد تم إصلاحها، وتعلم أن الرجل سيحضرها محملة على العربة، التي سيدفعها بنفسه، إلى عقر دارها. ولن يطلب منها أجرة التحميل والنقل، ولا أجرة إعادة وصل خراطيم المياه، فتستطيع غسل ما تجمع من ثياب خلال يومين من غياب الغسّالة عنها من أجل التصليح.

تعلم المرأة أن الرجل سيقبل بالقليل لقاء العمل الذي قام به في إصلاح الغسالة. ليس لأنه لين العريكة. يطلب عادة ما يكفي لتغطية نفقات قطع التبديل، وشغله، وما تيسر لتأمين أدنى حدود الربح. فقط ما يكفيه لتأمين طعامه، ودفع إجرة الكوخ الذي يستعمله لمهنته وإقامته.

يعلم الجيران دائماً متى يستيقظ، حتى أنه يمكن لهم ضبط ساعاتهم على صوت الطرق القادم من الكوخ. حين يبدأ صوت المطرقة يدوي فوق المعدن، يعرفون أن الرجل نهض من شبه السرير الذي ينام عليه في ناحية من الكوخ. ومع أنه يبدأ الطرق باكراً، لم يبد أي من الجيران امتعاضه، فالكل يعلم مدى الحاجة إليه، وضآلة المبالغ التي يطلبها منهم لقاء إبقاء غسّالاتهم وبرّاداتهم صالحة للاستعمال.

يرون فيه قديساً للسلع البيضاء المستعملة، رجلاً يبقي على طعامهم طازجاً وبارداً، وثيابهم نظيفة، لقاء لا شيء تقريباً. رجل قليل الكلام، ولا يختلط مع الآخرين، ومع هذا يجعل وجوده كله يدور حول مصالح الناس الذين يشكلون خارطة من الشوارع والحارات في قلب وعقل المُصلّح.

تتدلى من السقف القصديري فوق السرير، كعكة عيد ميلاد ملفوفة بخرقة موصلين أبيض تلطّخت باللونين البني والذهبي من فرط حلاوة الفاكهة والكحول التي كانت تتعتق في قلب الكعكة. هذه هي الهدية التي يقدمها له الجيران، فتتناوب نساء رينتشموند في صنع الكعكة وتقديمها للرجل بعد انقضاء نصف السنة. لكنها ليست جهداً فريداً لأن الرجال والنساء، والأولاد أحياناً، يطرقون بابه عبر الشهور المؤدية إلى موسم عيد الميلاد، حاملين له زجاجات "بورت"، و"رم"، و"شري".

حين يظهر حامل الشراب المسكر عند باب الكوخ، ترتسم على وجه المصلّح ابتسامة عريضة، ويتوقف عن العمل، ثم يتوجه نحو الكعكة المعلقة فوف سريره ويفك الخيط الذي يمسك بقطعة القماش في مكانها. يومئ نحو الزائر بيديه القاسيتين من العمل، فيمشي الزائر نحو السرير، ويقف على الفراش الإسفنجي الرقيق، ثم يسحب فلينة الزجاجة، وبحذر يصب الخمر المقوّى على الكعكة العطشى.

يبدو أن الكعكة جافة كل الوقت، بغض النظر عن عدد الناس الذين يحضرون بزجاجات خمورهم، ويفرغون محتوياتها في كعكة الميلاد. تمتص الكعكة الشراب المسكر، وكأنه دلو ماء مسكوب في صحراء رملية. ويقف المصلّح هناك، مبتسماً، يراقب الكعكة تتأرجح من السقف، تنمو ببطء، يوماً بعد يوم. تنتفخ ببطن مليء بالـ"شري" والـ"بورت" والـ "موسكات" وأي شيء آخر يمكن لسكان رينتشموند العثور عليه، حتى لو كان منسياً، مخفياً في خزائن الشراب، أو تحت الأسرة، أو خلف الرفوف.

كل ليلة، حين يستلقي المصلّح فوق فرشته الإسفنجية، ونوابضها الحادة تنغرس داخل الفراغات اللينة بين فقرات سلسلة ظهره، ينظر إلى الأعلى نحو الكعكة تتأرجح بصمت فوقه. يشمّ الأريج الصارخ للفاكهة والخمور المعتقة في قلب الكعكة، وهي كافية لتوقظ فيه بعض ذكرياته. لكن رائحة تعرق الزوّار وعطورهم هي التي كانت تجعله ينام، تسقطه إلى عالم السبات الذي لا أحلام فيه.

مع اقتراب موسم عيد الميلاد، يزداد عدد الزوار الذين يُحضرون الخمر المعتق لأجل الكعكة، نوبة قلق خفيفة تعتري رجال ونساء رينتشموند، سببها الخوف من أن الكعكة لن ترتوي أبداً، بل ستواصل امتصاص الخمور. لكنهم جميعاً يعلمون، كما يعلم المصلّح، من خبرة السنين السابقة، أن هذا لن يحدث أبداً. وفي النهاية تصبح الكعكة مشبعة بالخمور وتتساقط القطرات الأولى عن قماشة الموصلين على الفرشة الإسفنجية.

ثم يعلن المصلّح عن توقف سكب أي مزيد من الخمور في كعكة عيد الميلاد، وينتشر الخبر على

طول شوارع وحارات رينشموند. لا إحضار لمزيد من الخمر، حتى السنة القادمة.

عند تلك اللحظة من الإشباع، قبل عيد الميلاد تماماً، يتوقف الجيران عن إحضار الخمور، ويتأمل المصلّح في حياته الماضية حين كان يعيش مع والديه في ضاحية أخرى من ضواحي المدينة. يغلق المحل، يجلس على السرير، يتجاهل قطرات الخمر التي تترشح عبر قماشة كعكة الميلاد، تتساقط على ظهره وكتفيه، تلطخ قميصه الأبيض بلون الدم.

يتذكر الرجل كيف جعل والداه منه الشخص الذي لا يصلح لشيء، خلقوا منه ابناً ثانياً، يمكنهم إلقاء اللوم عليه كلما حصل شيء سيء. كان أمراً عجباً، يفكر المصلّح، وهو جالس في سريره، أن يصبح كبش الفداء منذ نعومة الأظفار.

كلّما تعطّل والد الرجل عن العمل في المرفأ بسبب إضراب أو نقص في الطلب، تنزل مسؤولية فقر العائلة على أصغر الابنين لأنه كان يأكل كثيراً. أما الابن الأكبر والابنتان فلا ذكر لما يقومون به، لا بالنسبة لما أكلوا، ولا ما فعلوا دون حساب.

كلّما جاء جار يتشكى من نافذة مكسورة أو من ليمون أو برتقال مسروق من شجرات حديقة الدار، كان المصلّح يتلقى اللوم بالرغم من أن والديه كانا يعلمان حقّ العلم أن أخيه أو إحدى الشقيتين هو أو هي المسؤولة عن تلك الفعلة.

وجاءت القشّة التي قصمت ظهر البعير خلال سنته الأخيرة في المدرسة، بالكاد قبل أن يكمل سنة عمره الخامسة عشرة وكان متحرّقاً لترك تلك البلاد الغريبة المؤلفة من الكتب والأقلام والمعلمين بقوانينهم التي تتماثل في إرهاقها مع قوانين والديه. سبق لوالدته أن أعدت كعكة عيد الميلاد كعادتها، وعلّقتها من سقف المطبخ. كما سبق لها أن أصدرت تعليماتها الصارمة بعدم رشّ الكعكة بالمسكرات، فما كانت توافق على الشراب في أي شكل أو صفة، وكان على الكعكة أن تظلّ محكمة الرباط حتى يوم العيد لتؤكل جافة.

لكن الكعكة كانت تختفي قطعة قطعة خلال شهور التعتيق، شكراً للعناية الجائعة لشقيق المصلّح وشقيقتيه. وفي يوم الميلاد حين فكّت الأم الخيط، وفتحت القماش، انفجرت بغضبها الجهنمي لأن كلّ ما تبقى كان الفتات وقطعاً صغيرة من الخشب وضعها الشقيق والشقيقتان مكان ما اختلسوه لتضليل والديهم.

نزل اللوم على المصلّح الذي بلغ لديه السيل الزبى فغادر المنزل تاركاً وراءه متهميه الذين لم تقع عليهم عيناه بعدها قطّ. مضى بعض وقت قبل أن يجد الكوخ في رينشموند، ومضت سنوات عديدة قبل أن تتكرس سمعته كحرفي ماهر معتدل الأسعار. لكن المصلّح أصبح جزءاً من المنطقة، ثابتاً يمكن تمييزه مثله مثل الحصى الأسود والرمادي الذي ترتصف به حارات رينشموند.

يوم الميلاد، يقطع المصلّح الكعكة، يفتح القماش، يقطع الحلوى الهائلة إلى أسافين، ويضع الصحن الحاوي على الكعكة قرب الباب. تحمل النسائم رائحة المسكرات الحلوة فتنتشر إلى أنوف رجال ونساء وبعض أولاد رينشموند. يصلون زرافات ووحداناً، تجرهم رائحة الكعكة نحو الكوخ.

يقفون حول الكوخ، في الممر، ويتشاركون مع المصلّح في تناول قطعة من الكعكة، يتمنون له

عيداً سعيداً ثم يغادرون عائدين إلى عائلاتهم ووجبات عشاء عيد الميلاد التي تُطبخ في أفرانهم. لكن يوم المصلّح مليء بالزوار الذين يغادر آخرهم في ساعات المساء المتأخرة بعد أن يتناول إسفينه، ويتمنى له عيداً سعيداً.

يذهب إلى السرير، يضطجع، ينظر إلى الأعلى نحو خرقة القماش الفارغة تتدلى مترهلة فوق رأسه لكن معدته مليئة بالكعك وقلبه مليء بالحنان الذي تركه له رجال ونساء وأولاد ريتشموند.

غريغ بوغارتس كاتب من مدينة نيوكاسل في أستراليا، له عدد كبير من القصص القصيرة، كما بدأ بكتابة الرواية وستنشر روايته الأولى في نهاية هذا العام. نشر النص الإنكليزي الأصلي للقصة أعلاه كما هو مبين فيما يلي.

Greg Bogaerts is a writer from Newcastle, Australia. He has had many short stories published in journals, magazines and anthologies in Australia and America. Many of his stories have been read on radio, and some translated into Arabic. The original English of the above story, *The Christmas Cake*, was published in the anthology *A House Full of Mirrors*, by The Surf Coast Scribblers, Anglesea, Victoria 2003.



علي القاسمي

قصتان

دورة الأحزان

لا بُدّ أن أحكي قصّتي لأحدٍ ما، ليدوّنها ويحفظها، قبل أنْ يقضوا عليَّ، فإنّهم يحاصرونني الآن من كلّ جانب، يُشعلون الحرائق حولي، يسلبون هوائي، يترصدونني، يتربّصون بي الدوائر، يتحينون الفرصة للإيقاع بي، للانقضاض عليَّ، لتقطيع أوْصالي، ووضع حدٍّ لحياتي، وإلغاء وجودي. ولا أريد أنْ أرحل قبل أن أروي قصّتي... ليست كلّها طبعاً ولا بتفاصيلها، فهي طويلة لا يتّسع لها كتاب، ولم يبقَ لي من الوقت ما يسمح لي بسردها كاملة. سأقتصر في قصّتي على المعالم الرئيسة في حياتي، مجرّد ومضات في ليل الزمن.

شاركتُ نوحاً في بناء السفينة، وعندما فاضت الأنهار، وتفتّقت السماء بالأمطار، وحلّ الطّوفان في شهر محرم الحرام، ركبتُ السفينة معه، وظلّت حبيبتي واقفةً على ربوة عالية، تنظر إليَّ وتلوّح بيديها. ناديتُها فلم تُجب، أشرتُ إليها أنْ أسرعي فلم تتحرّك، وبقيتْ واقفة هناك، ورحلتِ السفينةُ بدونها. وعندها جلستُ وحيداً، وطأطأتُ رأسي، وغطيتُ وجهي بيديّ، وانحدرتْ دمعة صامتة من عيني. ومرّتْ قطّةٌ أمامي، وتوقفت عندي، وماءت بحنان، ومسّدتْ جسدها وذيلها بساقيّ العاريتين.

وفي الهزيع الأخير من الحنين، دخلتُ مدينة الورقاء حاسرَ الرأس حافياً، وولجتُ معبد عشتار أبحث عن حبيبتي فلم أجدها بين البغايا، فتناولت مسماراً ونقشت على حجر: "أحبُّكِ إلى الأبد." وعلّقتُ الحجر على باب المعبد، علّها تَرِده يوماً ما فتراه. وشربتُ خيبتي كالإبر وانصرفتُ. وفي الشارع الكبير في المدينة، شاهدتُ مواكب الحُزن والعزاء وهي تنتظم صبايا المدينة الجميلات، باكيات نائحات على إله الرعي يموزي، الذي أوقعوا به في شهر محرم الحرام وعذّبوه وقتلوه ظلماً وعدواناً. وتفحّصتُ الجميلات الباكيات النائحات باحثاً عن حبيبتي بينهن فلم أجدها، فعانقتني تباريح الوجد حتّى خنقتني، وانخرطتُ في موكب العزاء وأخذتُ أبكي، ولم أدرِ ساعتئذٍ هل كنت أبكي على يموزي أم على حبيبتي.

وصحبتُ جلجامش وأنكيدو في غزواتهما إلى بلاد الأرز وبحر الظلمات، بحثاً عن عشبة الحياة، عن حبيبتي. ورأيت أنكيدو الشجاع الشهم ينازل العفريت في الغابة ويغلبه، ويصارع الثور الوحشي في ساحات المدينة ويصرعه، ولكنّه... ولكنّه يلفظ أنفاسه الأخيرة في حجرة موصدة، فيمضي جلجامش

حزيناً وحيداً في بحثه عن عشبة الحياة. ويغوص في أعماق البحر ويصطادها، ولكنّ الحية تأتيه وهو نائم فتسرق العشبة منه وتنسلّ مختفية في غارها. وبكى جلجامش بحرقة، وبكيتُ معه بصمت. ولم أدرِ وقتذاك هل كنت أبكي على جلجامش أم على حبيبتي. وشربت دمعي، وعدتُ إلى خيمتي البالية في الصحراء، وألقيت بسيفي المثلوم في العراء.

ودخلتُ مدينة أور في بلاد سومر باحثاً عن حبيبتي. ورأيتهم يتجمهرون مستمعين إلى إبراهيم فتجمهرتُ معهم. وباغتنا رجال النمرود وقبضوا عليَّ وأحرقوني مع إبراهيم، فتطاير الرماد من جسدي المحروق وتصاعد إلى أعالي السماء، ومرَّ على وجنة القمر فانكسفت، ولامس عين الشمس فانخسفت، وتجمعتْ ذرّاته في الذرى والتحمتْ، وتذكرتْ آثارَ أقدامي على الرمال فانحدرتْ.

سخّروني مع الآخرين لتشييد جنائن بابل المعلّقة. وفي المساء كنتُ أستحمُّ في ماء الفرات، أفتّش فيه بين عرائس النهر عن حبيبتي، عن لقمة أسدُّ بها رمقي. وانسابتْ موجاتُ النهر جنبي مسرعة وهي محمّلة بالإوز والسمك وبقيت جائعاً، وقهقهت عرائس النهر مني، وانصرف الجميع، وظللتُ وحدي أفتّش عنها في أحلامي. وعندما غاص قرص الشمس في أطراف السماء وأفل القمر، انهار برج بابل، فرحلتُ مع الراحلين مُيمماً وجهي شَطْرَ آشور، مستنطقاً في مسيرتي الأشجارَ والأحجارَ عن حبيبتي. ومررتُ بمهاجع الغجر، فاستعرضتُ خيامهم، ولمحتُ نساءهم يرقصن مع الذئاب ويغنين مع البوم، ولكنّي لم أكحّل عينيَّ بمرأى حبيبتي بينهن. وفي المساء كنتُ أبكي بحرقة، ولم أعرف ليلتئذٍ هل كنتُ أبكي على برج بابل أم على حبيبتي.

هلّلتُ لهم عندما أبصرتُ بهم مقبلين مغيرين على صهوات جيادهم، وسيوفهم مسلولة، ومثار الغبار يمتدُّ خلفهم حتى قلب الصحراء. فالتقطتُ سيفي المثلوم والتحقتُ بهم. ووقفتُ معهم أمام إيوان كسرى وهدمتُه حجراً على حجر، وبنيتُ بأحجاره أسوار مدينة مدورة عامرة بالقصور الفارهة والحدائق الغنّاء والساحات الواسعة، وعندما اكتمل بناءُ المدينة، دخل السلطان وأبناؤه وأعوانه فامتلكوا القصور، وتركوني ورفاقي في أرباض خارج السور. ووقفت على باب السور أتملّى الجميلات يفِدن إلى المدينة المدوَّرة من أنحاء الدنيا، ولم تكن حبيبتي بينهن، فتحدّرتْ دمعة وحيدة صامتة من عيني على غير إرادة مني. ولم أدرِ هل كنت أبكي على أحلامي المجهضة أم على حبيبتي.

ودخلتُ مدينةَ بغداد، فرأيتُ الناس في المقاهي ضاحكين لاهين، واشتغلتُ في أحد المراصد. وذات يوم، رصدتُ، من الشرفة، جحافلَ المغول قادمة على خيول صغيرة ذميمة، فحاصروا المدينة حتّى نفد الزاد والعتاد. وفي شهر محرم الحرام، والشمس في كبد السماء، اجتاحوا الأسوار، وأعملوا السيوف في الرقاب، فذبحوا الشيوخ والأطفال، وبقروا بطون الحوامل، وأحرقوا الكتب، وهدّموا المنائر، وسال الدم والحبر في النهر حتى اصطبغت مياهه بهما. ووقفتُ وحدي على ضفة النهر باكياً، ولم أدرِ يومها هل كنت أبكي على بغداد أم على حبيبتي.

وشربت كبريائي كالعلقم، ورجعتُ منهوكاً إلى خيمتي البالية في الصحراء،وألقيت رحلي فيها، أعاقر ذكرياتي الأليمة، وكلّما لاح لي سراب، سللتُ سيفي وهمزتُ جوادي وجريتُ خلفه لعله سراب حبيبتي، بَيْد أنّي أعود دوماً مضرجاً بالخيبة والحسرة.

ترويقة الصباح

تعال معي لنتناول ترويقة الصباح، فأنتَ ضيفي اليوم. لنذهب إلى أحد المقاهي المكتظة بروادها من الموظفين والعاطلين. إنهم يتناولون فطورهم، أو بالأحرى يحتسون قهوتهم متمهلين، في المقاهي، طوال الصباح. فمدينتنا مدينة سياحية من الدرجة الأولى. سياحها هم أهلها من الشباب والشيوخ. وأنا وأنتَ سنمضي الصباح كله في مقهى كذلك.

ولتمضية الوقت، دعني أقرأ لك قصيدة بالفرنسية لجاك بريفير عنوانها "ترويقة الصباح". فعنوانها يتفق والمقام الذي نحن فيه، والشاعر كان يكتب قصائده في مقاهي باريس وحدائقها العامة. وإذا كنتَ لا تجيد الفرنسية، فسأقرأ لك القصيدة ذاتها بالعربية. فقد نقلها إلى العربية الشاعر نزار قباني وأعطاها عنوان "الجريدة". فَعَلَ ذلك رأفة بأمثالك ممن لم يتقنوا الفرنسية بسبب تغيّب المعلم المستمر. وضمّها قباني إلى ديوانه، ولكنه نسي أن يكتب كلمة "ترجمة" عليها. لا بدّ أنك سمعتها من قبل بصوت المغنية ماجدة الرومي.

وإذا كنتَ لا تحبّذ الشعر وتفضّل الإنكليزية، فلنقرأ قصة قصيرة للكاتب الأمريكي رون كارلسون بعنوان "قراءة الجريدة". ماذا قلتَ؟ أنتَ تجهل اللغة الإنكليزية. لا عليك، لا تهتم ولا تغتم، لأنني بصدد سرقة موضوع هذه القصة ونقله إلى العربية الآن بعنوان "ترويقة الصباح". مجرد تغيير في العناوين وتصبح كاتباً. وعلى كل، فالصحف لا تدفع حقوق المؤلف. أنتَ تسرق أفكار غيرك، والناشرون يسرقون حقوقك.

لم تعجبكَ قصتي؟ لماذا؟ ليست لها مواصفات القصة؟ ولا عليك، سنسميها "سرد"، فهي من فنون ما بعد الحداثة، ومصطلح "سرد" يغطي كل ما هو ليس بقصة وتريده أن يكون قصة، تماماً مثل مصطلح "تشكيل" في الرسم. فأنتَ، مثلاً، تستطيع أن تصبح رساماً إذا وضعتَ شخبطات داخل أطار أنيق، وعرضتها في معرض فخم، وقلتَ إنها "تشكيل". وإذا كان لك أصدقاء من نقّاد الفن، فسيخرجون بتحليلات وتأويلات لشخبطاتك لم تخطر لك على بال.

ماذا قلتَ؟ لا تريد أن تسمع شيئاً من الأدب الفرنسي ولا الإنكليزي؟ إذن سنقتل الوقت بقراءة الصحف العربية. لا تظن أنني ساشتري الصحف. عبقرية البطالة تخترع أساليب فذة. سنستعير جميع الصحف من البائع مقابل نصف درهم فقط، وبعد أن نطّلع عليها، نعيدها إليه، وهو بدوره يعيدها إلى الموزع غداً صباحاً بوصفها "مرجوعات لم تُبَع". جميعهم يفعلون ذلك، ونحن كذلك. ألم أقُل لك إن البطالة أمّ الاختراع.

أنتَ تفضل مشاهدة المارة والتعليق عليهم، أليس كذلك؟ إذن، سنختار مقهى يطل على الشارع العام. ولكن ينبغي عليّ أن أحذركَ مسبقاً. إذا رأيتَ شاباً يوقف فتاة مارة في منتصف الطريق، ويشهر سكيناً في وجهها، ويأمرها بتسليم حقيبتها اليدوية وحليّها المزوّرة، فلا تتحرك من مكانك، لأن الفتاة

ستسلمه الحقيبة بيد مرتعشة وابتسامة شاحبة، ويمرّ المشهد بسلام. أما إذا كنتَ فضولياً وتدخلتَ، فقد يحدث ما لا يحمد عقباه. إفعل تماما كما يفعل الشرطي وهو يمرّ على المشهد بعيون مغمضة. عذره أنه أنهى نوبته قبل لحظات. إنها الحكمة بعينها. أو إفعل كما أفعل : إحتسي قهوتك قبل أن تبرد.

ماذا قلت؟ النادل أتى بالقهوة باردة؟ لا تهتم بذلك، لأنها ستبرد على أي حال، فنحن سنمضي الصباح كله في هذا المقهى. ضعها أمامك فقط متظاهراً بالتلذذ في احتسائها. لا تشرب قهوتك بسرعة. في العجلة الندامة وفي التأني السلامة. وإذا لم يعجبك هذا المقهى، سنذهب بعد الظهر إلى مقهى آخر، فالمدينة كلها مقاهٍ: بين كل مقهى ومقهى مقهى.

إذن لنبدأ بقراءة عناوين أخبار الصفحة الأولى في هذه الجريدة. هل أنتَ مستعد لسماع أخبار الأمة هذا الصباح؟ توكّل على الله:

'بروفيس مروفيس ينجو للمرة الثانية خلال إسبوعين من هجوم بالقنابل.'

لا تعرف من هو بروفيس مروفيس؟ إنه جنرال استولى على السلطة بانقلاب عسكري، حكم بالإعدام على رئيس الحكومة المنتخب. المسكين الأخير سبق له أن فاز بالانتخاب. لكن بالرشوة والتزوير.

'عشرات القتلى من اللبنانيين بسقوط طائرة بوينغ في طريقها إلى بيروت.'

السبب؟ بسيط جداً: الطائرة مستهلكة، وأموال الصيانة أخطأت طريقها واستقرت في جيوب بعض مسؤولي الشركة.

'طائرات إسرائيلية تغتال ستة فلسطينيين بينهم أربعة أطفال بإطلاق صاروخ على سيارتهم في شارع بغزة، وتجرح عشرين من المارة.'

الخبر عادي لا يحتاج إلى تعليق. اعتدنا عليه، لا جديد فيه. نسمع مثله كل صباح منذ ثلاث سنوات.

'قوات الاحتلال الأمريكي تقتل ثلاثين عراقياً وتعتقل مائة وستين آخرين شمال بغداد...'

إنهم سادة العالم، إنهم رعاة البقر. يسرحون ويمرحون كما يحلو لهم. لا مانع ولا رادع. والعالم مزرعة كونية صغيرة. ونحن جميعاً ملك أيديهم.

'اكتشاف مقابر جماعية جديدة في العراق.'

تعلّم أساليب الحكم، يا صديقي! فقد يركبك الحظ وتصبح رئيس جمهوريتنا الملكية في المستقبل. ماذا تقول؟ أنا لست مازحاً.

'تقرير دولي: 351 ألف طفل عربي مُصاب بالأيدز/السيدا.'

هذا معناه أننا تعلمنا حكمة "النظافة من الإيمان".

هل تريد أن تسمع مزيداً من الأخبار؟ لا؟ لنغيِّر الموضوع إذن: والآن كيف نبحث عن عمل؟!

الدكتور **علي القاسمي** كاتب عراقي مقيم بالرباط، المغرب.

Dr. **Ali al-Kassimi** is an Iraqi writer who lives in Rabat, Morocco. The above stories are titled *The Cycle of Sorrow* and *Breakfast*.

رجب سعد السيد

ثلاث قصص

غزير...

صاح زملائي: إقفز... سنتأخَّر... أمامنا برنامج حافل!

فتغلَّبت على ترددي، وردَّدت: لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، وقفزت في الزورق، فتأرجح، حتى اتَّخذتُ مكاني على أحد جانبيه. وتحرَّك.

لا أخفي عليكم، كنت خائفاً. فهذه أوَّل رحلة لي في هذا البحر. إنه بحرٌ تتبدَّل أحواله بين ساعة وأخرى. و زورقنا... آهٍ من زورقنا! إنه يحمل اسم "زورق أبحاث"، ولكنه آخر الزوارق الصالحة للأبحاث. جسمه خشبي، متهالك، يرتجُّ بتأثير دوران آلته المحرَّكة العجوز، التي بدأت – فعلاً – في الدوران... الحمد لله... وهي تنفث هبَّاتٍ صغيرة متتالية من دخان أسود، ويتناثر منها، على ملابس من يجاورونها، رذاذُ زيتي. وعليَّ أنا أن أشارك في هذه المهمة العلمية، في البحر الأحمر، فوق هذا الزورق العجيب، الذي انتهى عمره الافتراضي، منذ زمن طويل!

سألت عن قائد الزورق وبحَّارته، فتضاعفت مخاوفي. لم يكن له قائد محدد، بل ثلاثة من عمَّال مركز الأبحاث، لا يوحي مظهرهم بأي درجة من الثقة.

على أي حال، لم يكن أمامي سبيل للتراجع، فالمهمة العلمية ضرورية، إذ كان علينا أن ندرس أحوال القاع، في موقع يتوسَّط مجموعة من الجزر الصغيرة، في مدخل خليج السويس، بعد تعرُّض المنطقة لحادث تسرُّب كمية من خام النفط، من ناقلة عملاقة. كنت أحد المكلَّفين بإجراء هذه الدراسة الحقلية. وأنا لا أتراجع عن أداء واجبي، حتى وإن كان عليَّ أن أقوم بالعمل في زورق يلهث، وبمساعدة من بحَّارة يثيرون الشفقة، أكثر مما يوحون بالثقة.

تحرَّك الزورق يحمل أفراد الفريق العلمي الثلاثة، والبحَّارة الثلاثة. غادرنا رصيف مركز الأبحاث، في شمال مدينة الغردقة، متَّجهين شمالاً، إلى مدخل خليج السويس. كانت الساعة، وقت أن تحركنا، تشير إلى العاشرة صباحاً؛ وكان تقديرنا أن نصل إلى الموقع في الواحدة ظهراً، ولكن الأعطال التي أصابت محرِّك زورقنا أرغمتنا على إبطاء سرعة الزورق، وهي بطيئة، أصلاً. وقد أورثنا ذلك الملل والتوتُّر، فشاء زميل لنا – خفيف الظل – أن يهوِّن علينا الأمر، فأعلن أنه سينزل إلى الماء، ويسبح بجوار

الزورق، ويسبقنا إلى الموقع. أخذنا نداعبه، وهو يعوم متجاوزاً الزورق. وفجأةً، صاح أحد بحّارتنا محذّراً من أن المياه التي نمرُّ بها الآن مليئة بأسماك القرش؛ فأصاب الهلع صديقنا، حتى أنه أسرع وقفز إلى الزورق، في لحظات معدودة. ولم تمر دقائق قليلة، حتى رأينا بأعيننا سرباً من الأقراش، يحوم في المياه حول الزورق، فحمدنا الله على أن سبّاحنا المغامر عاد بالوقت المناسب. لكن ذلك الأمر جعلني أراجع انطباعاتي عن بحّارة زورقنا، بل إنني عاتبت نفسي، فقد حكمت على الرجال الثلاثة من خلال مظهرهم المتواضع. وتعمّدتُ أن أظهر تقديري للبحّار صاحب نداء التحذير، وقسّمت عليه، وزميليه، قالباً من الشوكولاتة.

أخيراً، وصلنا إلى الموقع، وقد تجاوزت الساعة الثالثة عصراً، فبدأنا عملنا على الفور. وفوجئنا بأن حجم التسرُّب النفطي أكبر من التقديرات الأوّلية التي نُقِلت إلينا، فكان علينا أن نبذل جهداً مُضاعفاً. وانشغلنا بالعمل، ولم نلتفت لتقدُّم الوقت، حتى فوجئنا بالغروب الوشيك. وكانت خُطّتنا قائمة على أن ننهي عمل اليوم، ونلجأ إلى جزيرة قريبة، ننصب فوقها خيمة جلبناها معنا، نقضي بها ليلتنا، ثم نعود إلى نفس الموقع، في صباح الغد، لنستكمل أبحاثنا الحقلية في بقعة الزيت الخام. غير أن الاضطراب الذي حلّ بمواعيد الرحلة، جعلنا نتوقّف قليلاً، لنعيد ترتيب بنود خطّتنا.

قال أحد البحّارة: 'المسافة إلى الجزيرة طويلة، وسيدركنا الظلام ونحن بمنتصف الطريق إليها. وهي محاطة بالشعاب المرجانية، ذات الأطراف الحادة، في المياه الضحلة حولها، وفي ذلك خطر على القارب.'

سألناه: 'وما العمل؟' قال: 'المسافة إلى نقطة حرس الحدود، على شاطئ الخليج، أقرب، والمياه آمنة... ويمكننا أن نصلها مع الغروب.'

وبدون أية مناقشة، تحرّكنا باتجاه نقطة الحراسة، وقد لفّنا الصمت، وبداخلنا خوف من أن يخذلنا الزورق الضعيف... وقد خذلنا! إذ تعطّل مرّتين، وكأنه يعاندنا ويتحالف مع الوقت ضدّنا، حتى أننا وصلنا النقطة بعد أن سقطت الشمس في البحر، عند الأفق الغربي.

وحدث ما كنّا نتوقّعه ولا نحبه؛ إذ صاح فينا جنود الحراسة، محذّرين من مغبّة الاقتراب. قالوا إن لديهم أمراً بإطلاق النيران على أي جسم يطفو فوق سطح البحر، بعد غروب الشمس. وكنا على علم بذلك، فهذا إجراء أمني، علينا أن نحترمه، لأنّه موجّه إلى مهرّبي المخدرات والسموم البيضاء، لحماية أهلنا من شرورهم. غير أن صعوبة الموقف جعلتنا نرجوهم أن يتصلوا بقادتهم، ويتحققوا من شخصياتنا، ويسمحوا لنا بالمبيت عندهم، فالبديل صعب ومحفوف بالمخاطر. ولكن الجنود الأمناء أبوا، وأمرونا، في حزم، أن نبتعد عن النقطة، ونعود إلى البحر المظلم، وكان علينا أن نطيع.

أخذنا نتخبّط في الظلام الحالك، وكان القمر غائباً. كان الخطر يحيط بنا من كل ناحية. فنحن لا نقدر على قضاء الليلة في زورق متهافت، فهل نغامر بالتوجّه إلى الجزيرة ليلاً؟

فجأةً، قال أحد البحّارة، وهو أكبرهم عمراً وأقلّهم حجماً: 'سنصل إلى الجزيرة، بإذن الله!'

واعتلى مقدّمة الزورق، وجلس القرفصاء، وعيناه مسددتان إلى الماء، والزورق يسير على مهلٍ، وكان الرجل يردد، كل بضع ثوانٍ، كلمة: "غزير". فلمّا سألت عن معناها، قيل لي إنها تعني ارتفاع الماء تحت

الزورق، وابتعاد قاعه عن أسنان الشعاب المرجانية. وعلمت أن ذلك البحّار قد ورث هذه الخبرة عن أبيه، فهو لا يكتفي برصد شفافية الماء بعينيه، في هذا الظلام، ولكن يستمع – أيضاً – إلى صوت ارتطام المياه بجسم الزورق، ويترجم ذلك كله إلى "غزير"، فيمضي الزورق، فإن لم يكن الماء تحته غزيراً، صاح بزميله أن يوقف الزورق تماماً، ويعدّل اتجاهه.

ظلّت قلوبنا معلّقةً بكلمة "غزير"، وكانت أحلى كلمة في اللغة العربية! فلمّا أعلن ملاّحنا الخبير أننا قد وصلنا، تنفسنا الصعداء، وحمدنا الله. عاد يقول: 'ولكننا لن نرسو على الجزيرة مباشرةً، لنبتعد عن الشعاب...'

كان علينا أن ننزل إلى مياه ترتفع حتى صدورنا، نحمل أمتعتنا فوق رؤوسنا، لنحميها من الابتلال، ونتحسس القاع بأقدامنا، حتى لا تمزّق الشعاب المسننة أحذيتنا. وكانت فرحتنا بالغةً، حين وطئت أقدامنا أرض الجزيرة. نسينا التعب. نسينا الخوف. نسينا الجوع. وسبق أن فقدنا كل المواد الغذائية، حين سقط صندوقها في البحر، ونحن نخوض في المياه إلى أرض الجزيرة. وأسرعنا نقيم خيمتنا، ونستسلم بداخلها لنوم عميق.

استيقظنا في الصباح الباكر على أصوات زاعقة. كانت الطيور البحريّة تحوّم فوق الخيمة، كأنها تستنكر وجودنا. نظرنا حولنا، فأدركنا سرّ انزعاجها منّا... لقد دخلنا أرض أعشاشها! فقررنا أن نعتذر، وفككنا الخيمة، وغادرنا المكان، وجلسنا عند خطّ الشاطئ، محاطين بأجمل لوحة طبيعية يمكن أن تراها عين: الشعاب المرجانية، بكل أنواع الكائنات الحية التي تعيش معها.

غير أن متعتنا بالطبيعة الساحرة أفسدها إحساسنا بالجوع؛ فنحن لم نأكل شيئاً منذ منتصف نهار الأمس، مع كل ما كابدناه من جهد ومشقّة... ثم إننا فقدنا رصيدنا من الطعام، فما العمل؟ وكنت أنا أكثر أفراد الفريق إحساساً بالجوع، فجاءني البحّار الثالث، غير البحّار الذي أنذرنا بأسماك القرش، أوبحّار "غزير"، وقال لي : 'هل يمكنك أن تصبر ساعتين؟' قلت 'نعم... فماذا ستفعل؟'

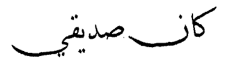
قال: 'ذهب صندوق الطعام للأسماك ليلة الأمس... سآتي إليك بالأسماك التي أكلت طعامنا!'

وغاب عن أنظارنا ساعةً، وعاد وفي يده خيط يتدلّى منه عدد من الأسماك الكبيرة، هو نفس عدد أفراد المهمة. وضع الأسماك أمامنا، ثم غاب لدقائق؛ وعاد يجرّ وراءه كومةً من الأعشاب الجافة، أشعل فيها النيران، وشوى عليها الأسماك.

وجلست مع المجموعة، أتناول أشهى وجبة في حياتي. بعدها، عدنا إلى زورقنا، يحملنا إلى موقع العمل، لننتهي منه، ونأخذ طريق عودتنا إلى مقرّ المركز، عند الحدّ الشمالي لمدينة الغردقة.

كان الزورق يسير بنفس البطء، وله نفس الصوت المزعج، ونفس الارتجاجات... ولم أكن أشعر بإرهاق، وكنت مطمئنّاً، فاستسلمت للنوم في أرضية الزورق.

ولمّا وصلنا إلى المركز، كان أول ما فعلته أن كتبت تقريراً، رفعته لرؤسائنا، أطلب فيه مكافأة ثلاثة خبراء: أحدهم، يشعر باقتراب الأقراش دون أن يراها؛ والثاني، يشعر بالشعاب المدببة، دون أن يراها؛ أمّا الثالث، فلديه قدرة هائلة على استعادة ما استولت عليه أسماك البحر الأحمر من طعامنا!



'...أكتب لك هذه الرسالة على أنغام أغنية "في يوم من الأيام"، تأتيني من إذاعة القاهرة، وذلك لأنني اشتريت مذياعاً به 9 موجات قصيرة... أسمع مصر باستمرار، يعني أخباركم عندي. ومبروك على المدرب الأجنبي للزمالك؛ ولكن، لا فائدة... الأهلي هو الأول!

كان صديقي... ظلّ – طول الوقت – نقياً كطفل...

'أهم أخباري، أنني انتقلت إلى مسكن خاص، وتركت الفندق... شقة صغيرة، مكونة من حجرة ومطبخ (الحقيقة، واسـع). والحجرة بها تليفزيون، وهو يفيدني كثيراً في اللغة. الإيجار 100 فرنك، شهرياً، فقط. المهم، أنا الآن مستريح جداً مقارنة مع أيام الفندق، وأطبخ الأطباق المصرية (مسقّعة، ملوخية، بامية... أحمدك يارب!). وأيضاً، الفول المدمّس! عثرت هنا، في (فيشي) على بقّال يهودي. وطبعاً، هو يعرف أن العرب في طريقهم لاحتلال (فيشي)، ثم فرنسا بأسرها، لذا كنز في دكانه كل ما قد يطلبه العرب!

أما حديثك عن (صدمة الانتقال)، فأنا أتعجب منه؛ إذ لم أشعر بأي صدمة، بل بالعكس، وجدت أنه من السهل جداً التأقلم على الحياة هنا. قد أكون أحسست بالغربة في أول أسبوع، حتى أنني اتصلت بمصر تليفونياً أكثر من مرة، ولكني اعتدت الحياة هنا...'

كان صديقي... وكان، على الدوام، بسيطاً كنبتة ترى الشمس لأول مرة...

'...والنهار هنا طويل جداً؛ يعني الساعة الآن 10 وربع مساءً، والظلام غير كثيف، إذ أن المغرب لم يؤذن له إلاّ منذ حوالي 20 دقيقة؛ لذا، فعندما يعمل الناس هنا حتى الساعة الرابعة أو الخامسة، مثلاً، فهو أمر طبيعي. والعجيب، أن الإنسان لا يحس بالتعب، مع انتشار ضوء النهار كل هذا الوقت، فالإجهاد والحاجة للنوم لا يأتيان – كما تعرف – إلاّ مع الظلام. أرجو أن أكون استطعت أن أنقل إليك ما أقصد، فأنا لست كاتباً كبيراً مثلك!'

'والحقيقة، أن أخلاقيات الناس هنا ممتازة؛ يعني – مثلاً – إذا خالفت إشارة المرور، تتوقف السيارات، ولا تجد من يلعن "سنسفيل" جدودك، بل بالعكس، يبتسمون لك، برغم أنك أنت المخطئ...'

كان صديقـي... تقـود التلقائيـة خطــاه...

'...احتفلوا، هنا، بالأمس بالعيد القومي لفرنسا. وفي اليوم السابق، مساءً، جري احتفال جميل، وسهرت "فيشي" حتى بعد 12 مساءً، مع أنهم – عادةً – ينامون "زي الفراخ" من الساعة 9، والشمس طالعة! وفي ذلك الاحتفال، شاهدت فرقة فولكلورية فرنسية، تمشي في الشوارع، وهي مقسمة لمجموعات، وكل مجموعة تلبس ملابس، وترقص رقصات أهل مقاطعة من مقاطعات فرنسا، أيام

الثورة الفرنسية. وهي ملابس في منتهى الجمال، وأشكال قبعات النساء غريبة. وبصراحة، الاحتفال كان يحتاج لكاميرا، وأنا ندمت على أنني لا أعرف التصوير وليس عندي كاميرا. وإنشاء الله، في العام القادم، سيكون عندي كاميرا.'

'وفي اليوم التالي، صباحاً، أعيد نفس الاستعراض. ثم تجمعوا عند مبنى البلدية، وأخذت كل فرقة ترقص. وفي المساء، كانت الألعاب النارية الجميلة. ولكن – تصـــوَّر ! – لم تتغير برامج التليفزيون، كما نفعل نحن في "أعيادنا" القومية، فبقيت البرامج كما هـي. فقط، نقلت القناة الثالثة العرض العسكري، بعد أن أعلنت عن ذلك مسبقاً.'

كـان صديقـي .. لم أسـمعه، مرةً، يدَّعـــي ما ليـس فيـه...

'... وأنـا قلبي معك، في مسـالة شـقتك. وربنا يوفقك، وينصـرك على هـــذا النصَّاب المشـاكس، بالرغم من أنك زملكـاوي، ومن غيظ العنـب!'

اخترته صـديقاً، وكنت أرتاح إليه، وأفتح قلبي وبيتي له، في زمن يعلمنا أن بيوتنا هي آخر خطوط دفاعاتنـا، التي ينبغي ألاّ نامن للغرباء أن يقتربوا منها!

'... ذهبت، منذ أيام قليلة، إلى "فيل فرانش"، وقابلت الدكتور نيفال. يا أخي... هؤلاء الناس، في بعض النواحي، لديهم أخلاقيات ليست عندنا، وإن كنت – إجمالاً – أرى أن بلادنا أحســـن! تأثرت كثيراً عندما فوجئت بأن الرجل قد حجز لـــي غرفة بفندق في "فيل فرانش". والمعهد قريب من الفندق. وهو معهد كبير، ويهتم – أساساً – بالدراسات البيولوجية. وقد اصطحبني الدكتور نيفال في جولة بالمعهد، وشرح لي كل أقسامه. وبالرغم من أنه أضخم من معهدنا في الإسكندرية، فإنني لم أجده مكدســاً بالعاملين، مثل الحال عندنا.'

كان يعزف عن الصراعات مع الخطّافيـــن والانتهـازيين. كنت، أحياناً، أتعـــارك من أجله. كان يقول لي : 'ليست مهمتي أن أقاتلهم... هذه مهمة الجهاز الإداري، الذي يرســم الحدود والعلاقات. وعلى أي حال، دعهم يأخذون ما يشاؤون... تأكد أن نصيبي بانتظاري!'

'... وضع أمامي الدكتور نيفال ثلاثة موضوعات للدراسة، وطلب مني أن أفكر وأختار موضوعاً، وأرسل له، بعد عودتي إلى "فيشي"، بما استقر عليه اختياري. وقد أعجبني موضوع لمسح المنطقة بين "الكوت دازور" وجزيرة كورسيكا، من خلال عينات نجمعها في فترة وجيزة، في شهري أبريل ومايو، فقط. وقد اقترحت، من جانبي، أن نقارن النتائج التي سأتوصل إليها، من دراسة الأسماك الهلامية بهذه المنطقة، بما تحصلت عليه في دراستي للماجستير بجامعة الإسكندرية. وأعتقد أنها ستكون مقارنة لطيفة ومفيدة، بين شرق البحر المتوسط وغربه... يهمني رأيك.'

كنت الوحيد الذي أطلعه على كل تفاصيل اتصالاته للدراسة بفرنسا. كنّا واثقيْن من أنهم سيرحبون به. وفي أيام قليلة، غادرنا إلى الشمال.

'...ولكي أثبت لك أنني أفكر فيك، أيضاً، سألت الدكتور نيفال – وأنا أتجول معه في المعهد – إن كان ثمة من يهتم بدراسة الطيور البحرية، لأن لي صديقاً، بالإسكندرية، مجنون بها، فأخبرني بأن في باريس معهداً للطيور عامة، بما فيها الطيور البحرية. وأعدك، في أول زيارة لباريس، أن أتحسس لك

الأمور، لعلك تشاركني رحلة الهجرة إلى الشمال، وتأتي ممتطياً ظهر رُخ!'

كنت أداعبه، وأدعوه لأن يترك دراسة هذه الكائنات المفزعة السامة، ويشاركني دراسة الطيور، ويتخصص في إناثها، ويترك لي ذكورها، لعله يجد بينها نورساً أنثى مسحورة، ترضى بالزواج منه. ليته فعل وتخلى عن تلك الكائنات القاتلة... ليته فعل!

'...بعد ذلك، أحب أن أحكي لك عن مرسيليا، فقد نزلت بها وأنا في طريق عودتي إلى "فيشي"، وبقيت فيها – سائحاً – يومين. وهي ميناء كبير، شديد الشبه بالإسكندرية. ويمكنك أن تصادف بها بعض الفرنسيين، الذين يعيشون مع أغلبية عربية! وبيني وبينك – ولبس للإذاعة بين الزملاء والأصدقاء – رأيت في مرسيليا، ولأول مرة في حياتي، رجلاً يواجه الحائط، ويبول! كأنني ذهبت إلى فرنسا – خصيصاً – من أجل هذا المشهد. وطبعاً، لا لزوم لأن أقول لك إنه كان – كما تقولون أنتم معشر فقهاء اللغة – من أبناء جلدتنا!

هل يكفيك هذا، أم تريد مزيداً من الحكايات؟ يا أخي... بما أنك تزعم بأنك أديب، فيجب أن ترسل لي خطابات حقيقية، وليس مجرد تليغرافات، كما تفعل. يا أخي... إحك... إحك أي حاجة!'

كان يكتب لي كثيراً. كان يسترسل في خطاباته، كما كنت أتركه يفعل حين كنا نلتقي، في مختبري، لنتناول الشاي. كنت أحب الاستماع إليه. كان يحب الإفضاء إليَّ. وفي كل مرة أكتب له، كانت خطاباتي تأتي مختصرة مبتسَرةً. فماذا أحكي له ؟ لم تكن لديَّ سوى سيرة الهموم... هموم القلب، وهموم الوطن...



كنت آخر المغادرين عند انتهاء دوام المساء. آخر كلمات أسمعها – واليوم ينتهي - لا أكاد أفهمها... البنجلاديشي يقترب ويرطن؛ لا أفهم من رطانته غير أنه معجب برباط عنقي. أغلق الباب ورائي.

تركت الجدران الدافئة إلي الشارع المتسع. تبدأ البرودة تتهابط فوق أسفلته ، تمسح مقدمة رأسي العارية. ليتني أجد الباص العام سريعاً. تسربوا من الدار واحداً بعد الآخر... لم أعد وافداً جديداً، وفقدت غطاء مجاملاتهم. لم أسع إلى منافسة، ولكن بعضهم استشعر في مجيئي خطراً على وجوده، فشحذ أظافره. مضوا في سياراتهم. عرضت مقابلاً للتوصيل... لعله لم يكن مغرياً. أنهى "ماجد" حديثي عن الغربة في قسوة واضحة: 'دعك من التخاذل... افتح على آخر سرعة، واترك العداد يعمل... لماذا أتينا إلى هنا، إذن؟' كان يترك مكتبه بالطابق الأعلى ويمر عليَّ، يمازحني، وقد يجالسني، نشرب

الشاي، إذا لم يكن صاحب الدار موجوداً. فجأة، لم أعد أراه، وأصبح يرد عليّ بكلمات قليلة، عندما أرفع السمّاعة لأجيبه، في الصباح أو المساء. لعله خاف أن تخترق عدوى الغربة درعه الواقية.

هل سيطول انتظاري، والهواء البارد يضغط على رأسي ووجهي؟

لماذا وافقت على هذا المسكن البعيد؟

اضطررت لقبول الشقة، برغم إحساسي بالنفور منها، بمجرد مواجهة بابها الحديدي. أسميها "الزنزانة". كنت، في الفندق، غير محتاج لأن أطبخ. وأجد ملابسي، في نهاية اليوم، مغسولة مكويّة. تعجلت مغادرة الفندق، وطلبت من عامل الخدمات السوداني أن يساعدني لأجد مسكني الخاص، من أجل حريتي. ظل يتلكأ، وأنا – في كل وجبة – أنزل إلى المطعم، وأجمع بعض الطعام في طبقي الوحيد، وأجلس أحدق في الفراغ. يأتي خادم المطعم الفلبيني، يحوم حولي قليلاً، ثم يدخل دائرتي: 'هل تطلب شيئاً إضافياً يا سيدي؟' 'شكراً.' يقف في نهاية المطعم الخالي من الآكلين، ولا يكف عن ملاحظتي. يعود فيقترب. 'هل لدى سيدي مشكلة في الطعام؟ لعل سيدي يريد أصنافاً أخرى؟' 'أشكرك.' يســـتدير ليبتعد. استوقفه. 'من فضلك يا صديقي... هل يعمل معكم هنا مصـــــريون؟' 'نعم يا سيدي... نعم... كثيرون.' 'إذن، إحضـــر لي واحداً منهم!'

ينصرف الفلبيني المندهش. يقترب مني – بعد لحظات – شاب صغير. أبتسم عند دنو ملامحه. يتحدث لساني بسهولة وبساطة. يقول: 'خير؟' أسأله: 'أين تعيش في مصر؟' يقول: 'أنا سكندري... من باكوس.'

أصيح: 'وأنا أيضاً من باكوس... محطة السوق!' يقول: 'بيتي خلف سينما ليلى.' يعود ليسأل: 'خير... هل لديك مشكلة في الفندق؟' أقول: 'نعم. لديّ مشكلة. أفقد شهيتي للطعام يوماً بعد يوم!' أطلب منه أن يجلس. يجلس أمامي. أبدأ في التقاط بعض ملاعق الأرز. أقول: 'أريدك أن تحادثني. كلمني عن "بحر جليم"'. يدقق النظر فيّ مستغرباً. أشجعه: 'أنت ترى أنني بدأت في الأكل. حدثني لأستمر. يضحك ويقول: 'بسيطة... أنا عائد من أجازتي السنوية. قضيت معظمها مع خطيبتي على شاطئ جليم!' قلت: 'نعم... نعم... حدثني عن النساء. قليلات هن اللاتي يرتدين المايوهات الآن.' تتسع مساحة الاستغراب في وجهه. يظل محتفظاً بابتسامته وتحرّجه. أعاود الاعتراف له: 'أسبوعان دون أن أرى وجه امرأة. صعب. ألست معي؟ حتى ابن خال زوجتي، دعاني إلى بيته، وحجب عني زوجته التي طالما جالستها في الإسكندرية، قبل وبعد زواجه منها!' أتيت على نصيبي من الطعام. أشرت للخادم. أسرع إليّ. طلبت منه مشروبين؛ لي ولجليسي. اعتذر محدثي عن عدم قبول المشروب، لأنه لا يزال في الدوام الرسمي. قام. طلبت منه أن يعدني بالحضور كل يوم. هز رأسه موافقاً، ومضى.

كيف فاتني أن أسأله عن اسمه!

عرفت أنوار الباص من بعيد. رفعت ذراعي ليراني السائق فلا يتجاهل المحطة ويتركني مستمراً في مكابدة العراء. قفزت إلى المكان ذي السقف، وحصلت على مقعد، فأمنت. أخذ الريالين. صمت يغطي وجوهاً مجهدة.

لم أفكر – منذ جئت – في امتلاك سيارة. جئت من أجلها، ومن أجل نقود أكثر، وحلم – كان يتباعد

عني – بالخروج من محطة السوق، والاقتراب من بحر جليم. فلماذا جاءت معي كل تلك الوجوه، للفلاحات بائعات الخضروات في شارع المحطة، ووجوه محصّلي قطار أبي قير.

في اليوم العاشر لي، في هذه العاصمة التي قُدَّت من خرسانة مسلَّحة، نصحني طبيب أن أتردد على مجالس للسمر، وأشاهد أفلاما ومسرحيات مضحكة. كنا في ضيافة صديق مشترك، وقلت للجالسين أنني لم أذق طعماً للنوم منذ جئت، وأنني دائم التوتر والقلق. قال الطبيب: 'حاذر من الـ"هوم سيكنيس"!'

نصحني الناصحون: لا تسكن وحدك... الوحدة قاتلة! وأنا لا أطيق مشاركة في مسكن. دفعت إيجار الشقة لستة اشهر، وضاع باقي المبلغ – وجزء آخر مستدان – في سوق الأثاث المستعمل. حصلت على حجرة نوم مزعجة، وأجهزة منزلية تسارع إلى النهاية. رضيت بمذياع صغير، وقلت يكفيني هذا. التليفزيون غول يهدر الوقت، ثم إن بثه لا يغري على التشبث به. مرَّ عليَّ بالفندق أربعة أيام قبل أن أكتشف وجود تليفزيون بالحجرة، وكلما أفتحه أجد نشرة أخبار طويلة، كلها استقبالات؛ وينقضي وقت طويل في تلاوة أسماء لها ذيول طويلة، من ألقاب متنوعة، وتتوالى مشاهد لأناس يقضون معظم يومهم في تبادل طقوس بليدة للتحية.

تباطأ الباص، ثم توقف في بقعة مظلمة تماما. تمنيت ألا يكون أصابه عطل. إذا غادرته هنا فلن أعرف أين أنا، وقد يستحيل مرور باص آخر. وحتى إذا تراجعت في إجراءات التقشف وفكرت في ركوب تاكسي، قد لا يأتي إلا بعد وقت طويل. تبينت أن السائق توقف ليصعد ركاب جدد. لم يكونوا ركاباً. كانوا بعض أفراد الشرطة. اضطربت أحوال بعض الركاب القلائل. سمعت عن الحملات التفتيشية، ونُصحت أن أحذرها. قلبوا في الأوراق. اقتادوا معظم الركاب إلى خارج الباص. اقترب أحدهم مني. أخرجت ورقتي المعتمدة. خرجت معها – بالصدفة – أوراق غيرها. قلت: 'وافد حديث... لم تستخرج لي بطاقة الإقامة بعد.' لم يرد. لم ينظر في الورقة المؤقتة. أشار إلى الأوراق الأخرى بين يدي. مد يده، وانتقى من بينها بطاقة. قال: 'أنت صحافي.'. قلت: 'كاتب.' قال: 'أفهم... أفهم... تكتب في الصحف.' لم أشأ أن أجادله. وأخيراً، رأيت ابتسامته في الضوء الباهت. قال: 'أنا أيضاً أكتب!' وأعاد إليَّ ورقتي وبطاقتي، دون أن يزيد. غادروا الباص. انطلق السائق وقد فقد نصف ركابه.

لم أكن خائفاً عند المواجهة، ولكن التوتر عصف بي بعد أن عاود الباص سيره. سمعت حكايات عن تعساء الحظ الذين يقعون في أيديهم. أكد لي أكثر من شخص أن ورقتي لا تكفي للسير بها في شوارع المدينة. حفزني ذلك لمحادثة المدير "حسن" بخصوص الإسراع في استخراج بطاقة الإقامة. يتعمد إهمالي، ويرفع إليَّ رأسه المحملة باللحية الكثيفة. يسدد عينيه إليَّ، ولا يحاول الابتسام، ويقول في حيادية مذهلة: 'لماذا أنت قلق هكذا؟ أنت كاتب، تستوعب العالم كله... افترض أسوأ الظروف: إذا أخذوك، سنذهب ونخرجك! ها... ها... ها!' وكان ينجح في إسكاتي، نفوراً من حضرته الراسبوتينية.

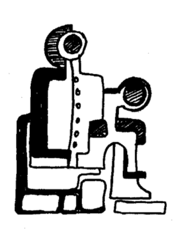
واكتشفت أنه يسخر مني، فهو يردد بعض كلمات قلتها في جلسة عمل، ويبدو أنها لم تعجبه. أصبحت أميل إلى تصديق كل ما يقال عنه برغم توصيات مخلصة بألاّ أستمع للاغتيابات. لم أجد أحداً لا يغتاب الآخرين. قال لي محرر الإعلانات إنه يعرفه. لم تكن له لحية، بل إنه لم "يركعها" في حياته.

قال أيضاً: 'إن كمية الشر بداخله لا حدود لها، وإن مظاهر التديّن لا تفلح في كبحه!' وكان المدير "حسن" أول من استقبلني عند قدومي. أكد أننا أبناء وطن واحد وأنه يسعده خدمتي، ثم أوحى إليَّ أن أحترس من الآخرين!

كان الباص لا يزال يسير في ظلام، كأنه سلك طريقاً مختلفاً أطول من المعتاد. غريب ذلك الإحساس بالتواجد في الظلام. الشوارع متسعة، عامرة بالبنايات الضخمة. أسير فاشعر بالضيق. الضوء خافت... مخنوق... تعجز أشعته عن الامتداد من مصادره إلى مسافات أبعد.

أخيراً، تهادى الباص وهو يدخل إلى الميدان. نظرت في ساعتي. راعني أنها لا تزال التاسعة. غادرت الدار مع انتهاء الدوام المسائي، في الثامنة، فكيف اتسعت ساعة واحدة لكل ذلك ؟

نزلت إلى الميدان المزدحم. لا خطط لديَّ. لا أمل في لقاء أحد من الزملاء أو المعارف. فكرت في أن هذا الإحساس المتزايد ببرودة الهواء ربما يرجع إلى خلو المعدة. حسناً ... أعرف طريقي إلى ذلك المطعم. أكره الفول والطعمية. ولكنني أجد هناك فرصة لتبادل الحديث مع العمال. استوقفني أحدهم وقال إنه شاهدني أكثر من مرة في محطة تليفزيون الإسكندرية. احتفى بي، وأضاف إلى طبقي بعض الخيار المخلل. أمضغ الطعام على مهل... ليس لاضطراري إلى تناول عشاء رخيص لا أحبه، ولا لأن معظم ضروسي سقط؛ كان هدفي أن أزحزح الوقت المتباطئ، قبل أن أعود أكابد الوحدة والقلق في فراشي.



رجب سعد السيد كاتب مصري. عضو اتحاد الكتاب المصريين.

Rajab Saad Assayyed is a writer from Egypt. He is a member of the Egyptian Writers' Association. The above stories are titled *Abundant*, *He was my Friend* and *Homesickness*.

رجب سعد السيد

ذكرى

جول فيرن... لا حدود للخيال

في حالات قليلة، يصعب الفصل بين حياة الكاتب وسيرته الإبداعية، إذ تتداخل الحياة مع الإبداع بصورة عبقرية، تستحق التأمل، ويصبح عندها التعرف على حياة الكاتب مسألة ضرورية لاكتمال متعة قراءة أعماله الإبداعية؛ بل إن سيرة الكاتب ذاتها تمثل سفراً خاصا، يضاف إلى مجموع إصداراته. ويأتي في مقدمة هذه الحالات القليلة، الكاتب الفرنسي الشهير جول فيرن.

وبالرغم من مرور ما يقرب من قرن على وفاة جول فيرن، فإن شخصية هذا الكاتب العبقري لا تزال محتفظة بكثير من الملامح المبهمة، يكتنفها شيء من الغموض والسحر. وقد يكون علينا، إذا أردنا استكشاف المزيد من أبعاد هذه الشخصية، أن نغوص في أعماقها إلى ما يزيد عن "20 ألف فرسخ" تحت سطحها، وأن نقوم برحلة إلى قلب ما خلّفه لنا من إنتاج أدبي، متمعنين في قدرات هذا الكاتب الرائد، الذي تميز بحساسية فائقة في رصد المتغيرات التي شهدها العالم في حياته.

إن مراجعة لتاريخ أسرة فيرن تجعل المرء يصادق على أنها أسرة مختلفة عن النموذج التكراري للأسرة في ذلك الوقت؛ صحيح أن الأبوين "بيير فيرن" و"صوفيا ألوت دبلافوي" كانا زوجين نمطيين، ونتاجاً طبيعياً لعصر "لويس فيليب"، غير أنك لا تملك إلا أن تتوقف أمام نموذج الأب، الذي كان يعاني حالة عصبية غريبة؛ إذ كان مهووساً بتحرّي الدقة في كل نواحي الحياة، حتى أنه كان يستخدم تليسكوباً خاصاً، موجهاً بصفة دائمة إلى ساعة برج كنيسة بعيدة، ليتأكد – من وقت لآخر – من أن ساعته الشخصية مضبوطة على ساعة الكنيسة!

ولد جول فيرن وأخوه بول في مدينة نانت، الميناء الفرنسية الشهيرة. ولما التحقا بالمدرسة، بدأت ميول واهتمامات جول تتضح في وقت مبكر، إذ ظهر شغفه بالقراءة وحرصه على ملازمة المكتبة. وكان أكثر ميلاً إلى قراءة كل ما يتصل بالبحر والسفن البخارية، وانشغل لبعض الوقت بالآلات البخارية، حتى أنه، وهو لا يزال بعد في سن المدرسة، اخترع حافلة ضخمة تسير بقوة البخار. غير أن أغرب ما في طفولة جول فيرن هو ذلك القرار الذي اتخذه منفرداً، وهو حدثٌ في الحادية عشرة من عمره، بالسفر بحراً إلى جزر الهند الشرقية، في رحلة على ظهر السفينة "كورالي"، بالرغم من خطورة هذه الرحلات، في تلك الأيام؛ إذ كانت العواصف الشديدة تهدد السفن التي كانت تسير بالشراع والبخار. غير أن "كورالي" لم تتأثر بالعواصف، وإنما العاصفة الوحيدة التي هبت هي عاصفة السيد فيرن الأب، وفي وجه ابنه الطفل، الذي كان يعده ليكون محامياً. وكان رأي الأب أن رحلة إلى جزر الهند الشرقية ليست

هي الطريقة المثلى لإعداد محام! لذلك، ضغط على الصبي ليغادر السفينة قبل أن تغادر الميناء، ويتخلى عن رحلته. وبالرغم من فشل الرحلة على كورالي، إلا أن سفينة أحلام الصبي جول كانت قد انطلقت مغادرة الميناء، فعلاً، وكان من الصعب إعادتها، ومن المستحيل إنزال صبي من على ظهرها! لقد علّق جول فيرن على هذه الواقعة، فيما بعد، وقد خلا من الأسف تماماً، قال: لن أتوقف عن الترحال، حتى إن كان ذلك في الأحلام! ولعل ذلك كان دافعه، بعد أن صار غنياً، إلى امتلاك مجموعة من السفن الشراعية، هي"سان ميشيل I و II و III ".

واستمرت ضغوط الأب والأسرة على جول فيرن، فدُفع إلى دراسة القانون دفعاً؛ وسافر إلى باريس لهذا الغرض. وهناك، تهيأت للشاب الظروف المواتية، فاختلط بالأوساط الأدبية، وتعرف على نفر من أدباء فرنسا المبرزين في ذلك الزمن، منهم فيكتور هوجو، واقترب كثيراً من ألكساندر ديماس الأب، وقد أصبحا فيما بعد صديقين حميمين؛ وكأن لقاءهما كان إيذاناً بلقاء بطليهما الشهيرين: "الكابتن نيمو"، و "الكونت دي مونت كريستو"، أحدهما في كتاب قصصي عن المستقبل، والآخر في رواية تاريخية. وكانت باريس البلسم الذي شفي خيبة أمل جول فيرن في رحلته إلى جزر الهند الشرقية. لقد أخفقت الأحلام على متن الكورالي، لتبدأ من جديد في أحضان باريس. وفي هذه المرة، كان جول قادراً على أن يتخذ قراراً لا يستطيع أبوه أن يوقفه. سبق أن أنهى دراسته للقانون، وصار محامياً، حسب رغبة الأسرة، ولكنه رفض أن يعمل بالمحاماة؛ لقد اختار الكتابة مهنة.

وبدأ جول فيرن مشواره الإبداعي في عام 1850، فاصدر كتاباً عنوانه "اتفاقيات منقوضة"، بالإضافة إلى بعض المسرحيات الكوميدية محدودة القيمة، وأوبريتاً. وفي عام 1852، قبل وظيفة سكرتير المسرح الغنائي بباريس. وفي غضون ذلك، كتب جول فيرن رائعته "رحلة من الأرض إلى القمر"، التي فتحت الآفاق لترسيخ فيرن كأحد الروّاد المبشرين بعصر العلم.

أصبح جول فيرن مديراً للمسرح الغنائي في عام 1856، ثم مرَّ بحياته حدث هائل في عام 1857، إذ تزوج من "أنوريل موريل"، وهي أرملة أرستقراطية. وضع الزواج نهاية لسلسلة من الإخفاق مرت بحياته العاطفية، وقد عبَّر عن ذلك بقوله: 'كل تلك الفتيات اللطيفات اللاتي شملتهن برعايتي ونلن حظوتي، سرعان ما كنَّ يدرن ظهورهن لي، وينطلقن في اتجاه رجال آخرين، ويرتبطن بهم، بعد أسابيع قليلة من بداية تعرفي بهن، حتى أنني خلتني أمتلك قدرة سحرية تزوّج الفتيات اللاتي أحبهن برجال غيري!'

وبزواجه من الأرملة موريل، حلّ السلام، وإن كان سلاماً ظاهرياً، فقد كان ثمة بركان داخلي مستمر في نشاطه. وكان فيرن يبدو للقريبين منه كشخصيتين في كيان واحد؛ كان صورة من دكتور جيكل ومستر هايد. فمن الخارج، تجمعت فيه شخصيات الزوج والأب والكاتب، وهي بطبيعتها بورجوازية حريصة على الأصول الكريمة المحترمة. وبداخله، كان هناك المفكر والباحث، شديد الانشغال بأفكار اجتماعية وعلمية تضطرب بداخله. وكان ثمة هامش لجول فيرن ثالث: الرحّالة... 'إن ما يملك عليّ قلبي حقاً ثلاثة أشياء: الحرية – الموسيقي – البحر!' كان يحب تأمل الطبيعة والبشر، وقد أوحت له رحلة على ظهر السفينة "جريت إيسترن"، وهي سفينة ركاب عابرة للأطلنطي، وكانت حمولتها البالغة

25 ألف طن تجعلها أضخم السفن المعروفة في ذلك الوقت، أوحت له بروايته "مدينة طافية". والعجيب، أن التوجه العام في تلك الرواية أصبح – الآن – توقعاً مستقبلياً؛ فبعد أن ضاقت الأرض بسكانها، وارتفعت أسعار أراضي البناء في كثير من عواصم ومدن العالم، يتوقع علماء المستقبليات أن يكون الحل في "مدن طافية"، تفي باحتياجات مواطني القرن القادم من المساكن.

أما الشهرة الحقيقية لجول فيرن، فقد حلّت به كسهم من البرق، بعد مقابلة تمت في عام 1982، مع ب. جي. ستال، وهو كاتب له رواية معروفة هي "بنات الدكتور مارس الأربع"، غير أن شهرته كناشر فاقت شهرته كروائي، فقد كانت له توجهات خاصة مستحدثة في مجال النشر، وكان يسعى لتطوير صناعة نشر الكتاب، وهو أول من أنتج الكتب ذات الأغلفة الجلدية المقوّاة، المزدانة باللوحات الفنية، وقد اشتهر كناشر باسم جول هيتزل، وكان يتوجه بالدرجة الأولى إلى القراء الشباب، ودفعه حسه الفني والأدبي إلى التخلي عن الاهتمام بالكتّاب التقليديين، مثل هوجو وبلزاك، ونشر أعمال الكتاب الجدد، من أمثال هيكتور مالو (بدون عائلة)، وألفونس دوديت (شيء صغير)، بالإضافة إلى أعمال فيرن.

لقد كان لفيرن وهيتزل فضل المزج بين العلم وقصص المغامرات، وإن ذلك ليدل على وعيهما الشديد بما كان يطرأ على وجه العالم، في ذلك الوقت، من تغيرات كانت علامات فاصلة في تاريخ العلم والتكنولوجيا مثل: الرحلة الاستكشافية التي قام بها الكسندر همبولدت إلى أمريكا الجنوبية، وظهور تقاريره عن أساسيات علوم المناخ والجيولوجيا والأقيانوغرافيا – اختراع "سوفاج" للمحرك الرفّاس، في عام 1832 – اختراع"لينوار" للمكبس في عام 1860 – وضع الأسس النظرية للتلغراف بواسطة "جوس" في عام 1833 – ثم التطبيق العملي لها بواسطة "مورس" عام 1844 – حفر أول بئر بترول في عام 1859 – تأسيس شركة "البوسطة البحرية" في عام 1851؛ وبداية نشاط السفر عبر الأطلنطي في عام 1855 – إنشاء وكالات الأنباء: "هافاس" عام 1835، و "رويتر" عام 1850.

كان العالم يتغير بسرعة مدهشة، وكانت الاكتشافات تتوالى، كأنها تهيء الطريق لجول فيرن، بصفة خاصة. ولم يتردد جول فيرن من جانبه، فاطلق لخياله العنان، ليسبق ما يتحقق حوله. وقال قولته المشهورة: 'إن أي شيء يجول الآن بمخيلة إنسان، سيأتي أناس آخرون قادرون على تحقيقه.'

وكان جول فيرن مثالاً يحتذى به للكاتب المؤلف المحترف، فقد كان يبدأ يومه في الخامسة، فيراجع حصيلة تصوراته وأحلامه. إذ كان لا يكف عن الحلم، في اليقظة والنوم، بالأجهزة والآلات الغريبة، فكان يستعين بالخبراء لتتحول أحلامه ورؤاه إلى قصص وروايات. وكان خياله في قمة نشاطه، لا حدود لانطلاقاته، وقد تخطى به حدود الزمن، وحقق به كثيراً من التنبؤات العلمية. لقد تخيل فيرن، على سبيل المثال، موقع "كاب كانيفيرال" – قبل أن يرصده الجغرافيون بوسائلهم الحديثة – بدرجة من الدقة تتراوح بين ميل أو ميلين، بالزيادة أو بالنقصان. كما جاء في رواية "20 ألف فرسخ تحت سطح البحر"، التي نشرت عام 1870، وعلى لسان الأستاذ أروناكس، عالم الأحياء البحرية القدير: 'إن أعمق أجزاء المحيط غير معروفة لنا. ماذا يحدث في هذه الأصقاع النائية؟ ما هي المخلوقات التي تعيش تحت سطح الماء؟ إن كانت الطبيعة لا تزال تحتفظ بأسرارها، فليس ثمة شيء أكثر قبولاً من أن نفترض وجود أنواع جديدة، أو حتى أجناس جديدة.' وبعد انقضاء أكثر من قرن على

كتابة جول فيرن لهذه الكلمات، انكشف سر من أعمق أسرار الطبيعة للغواصين المعاصرين؛ ففي وادي سلسلة جبال في شرق المحيط الهادي، حيث الحرارة البركانية التي لا تطاق، تنفصل بين جدارين محيطين، اكتشف الجيولوجيون حيوانات لا تقل قيمتها عما في قصص الخيال العلمي، نامية ومزدهرة في وسط عجيب يشبه الحساء. إنه حساء كيميائي غريب، يظن بعض العلماء أن الحياة الأولى نشأت فيه، ويري البعض الآخر أنها أكثر الموائل في كوكبنا إنتاجاً. إنها بيئة، أو موئل، الينابيع الحارة في أعماق المحيطات.

كما سبق خيال جول فيرن التكنولوجيا المعاصرة إلى اختراع الهليكوبتر والصواريخ وناطحات السحاب، وتخيل الحجم الذي وصلت إليه ترسانة الأسلحة الألمانية. كما تنبأ بالقنبلة الذرية. وقد أوقعه تنبؤه بالقنبلة الذرية في مشكلة جرته إلى ساحة القضاء، إذ أقيمت ضده دعوة قضائية، من قبل الباحث الكيميائي "يوجين توربين"، الذي سبق أن اخترع نوعاً من القنابل اليدوية، محشواً بالميلانايت، أو "البجادي الأسود"، وهو من الأحجار الكريمة. وتصور توربين أن فيرن يقصده هو عندما رسم شخصية العالم المجنون في الرواية التي تنبأ فيها بالقنبلة الذرية: "في وجه العالم".

بدأ فيرن إصدار سلسلة كتبه الشهيرة عن الرحلات في عام 1863، حملت عنواناً عاماً هو "رحلات عجيبة"، ثم روايته "خمسة أسابيع في منطاد". وحققت رائعته "رحلة إلى مركز الأرض" (1864) رواجاً ضخماً. وتحقق نفس الرواج لكتبه الشهيرة: من الأرض إلى القمر (1865)، 20 ألف فرسخ تحت سطح البحر (1870)، حول العالم في 80 يوماً (1870). وقد ترجمت أعماله إلى 25 لغة، بينها الصينية والروسية والفارسية واليابانية والعربية. كما منحته الحكومة الفرنسية وسام جوقة الشرف. وفي عام 1886، تخلّى عنه الحظ، وألمت به مأساة غريبة؛ فلأسباب غير معروفة، أطلق عليه أحد أبناء أخوته النار. ولم يمت، وإنما تركه الحادث عليلاً. تلى ذلك موت ناشره المتحمس له، ثم موت أمه. وفي عام 1892، استقر فيرن في "أميان"، مصاباً بمرض التهاب أعصاب الوجه، وأخذ يدير ظهره للمجتمع والعالم، وينسحب من الحياة العامة تدريجياً. وكتب، وهو في هذا الحال، إلى أخيه يقول: 'لا قبل لي الآن بأي فرح أو بهجة، لقد تبدلت شخصيتي تماماً، ونلت من الضربات القاسية ما لا أمل لي في الشفاء منه!'

وبالرغم من ذلك، فاجأ قراءه، في عام 1905، بإصدار روايته الأخيرة، قبل شهور قليلة من وفاته في نفس العام. ولم يكن من قبيل المصادفة أن تحمل الرواية عنواناً، هو: "فنار عند نهاية العالم"!

المصادر

Ulessis – 2000, march, 1997. 20 mila leghe nel futuro. Di Axelle de Giagneron -1

2- العالم تحت الأمواج – سندي لي فان دوفر. رسالة اليونسكو. يوليه/ اغسطس 1998.

3- تبسيط العلوم في عالم متغير – العلم والمجتمع – العدد 74 – اليونسكو.

4- رسالة اليونسكو – العدد (282) – السنة (27) – نوفمبر 1984.

رجب سعد السيد كاتب مصري. عضو اتحاد الكتاب المصريين.

Rajab Saad Assayyed is a writer from Egypt. He is a member of the Egyptian Writers' Association. The above article remembers Jul Vern.

أحمد فضل شبلول

بلسَمي

أيام جِدليان التونسية

ما زالت أيام جدليان التونسية محفورة في الوعي والذاكرة، فقد وجه لي الشاعر التونسي عبد الكريم الخالقي الدعوة لحضور مهرجان الشعر الدولي - خيمة علي بن غذاهم للشعر بجدليان، عندما التقينا في المؤتمر العام الثاني والعشرين للأدباء والكتاب العرب، ومهرجان الشعر العربي الثالث والعشرين، بالجزائر في ديسمبر 2003، وترك لي حرية اختيار شاعر آخر، وشاعرة من الإسكندرية، تمهيدا لتفعيل اتفاقية التآخي الثقافي بين فرع اتحاد كتاب مصر بالإسكندرية، وفرع اتحاد الكتاب التونسيين ببنزرت. وتحدثت مع بعض الأصدقاء من شعراء الإسكندرية، ووجدت ترحيبا من الشاعر جابر بسيوني، والشاعرة سناء الجبالي للمشاركة. فأبلغت عبد الكريم الخالقي باسمهما. وبالفعل وصلت إليّ الدعوات الثلاث. وبدأنا نستعد للسفر والمشاركة الشعرية.

في عام 1985 كانت زيارتي الأولى لتونس الخضراء، ضمن الوفد المصري للمشاركة في مهرجان الفكر، وكان معي وقتذاك: د. نعمات أحمد فؤاد، والشاعرة ملك عبد العزيز، ود. عبد العزيز شرف، ود. محمد المنعم خفاجي، والمستشار رابح لطفي جمعة، والقاص حسني سيد لبيب، وغيرهم. وكان هناك أدباء من وفود عربية أخرى، أتذكر منهم الكاتبة السورية قمر كيلاني. ولم أزل أتذكر كيف كانت حفاوة اللقاء، وأهميته، وأننا قضينا يوما كاملاً في مدينة القيروان. ومن يومها وأنا أتوق إلى زيارة تونس مرة أخرى، فهناك أشياء كثيرة فاتتني، ولم أشاهدها في تونس، إلى أن كانت دعوة الخالقي للمشاركة في المهرجان الذي لم أكن أعرف شيئا عن اسم صاحبه "علي بن غذاهم"، فعرفني الخالقي أنه من أبطال المقاومة الشعبية ضد الاستعمار الإفرنسي في منطقة جدليان، التابعة لولاية القصرين، وأنهم اكتشفوا أنه كان يكتب قليلاً من الشعر، فقرروا أن يحتفوا بالرجل ويبعثوا اسمه من جديد، (فالذكرى للإنسان عمرٌ ثان) فاطلقوا اسمه على هذا المهرجان الشعري الذي بدأ محلياً ثم صار دولياً، وها هو يصل إلى دورته التاسعة في العام 2004.

حضر ثلاثتنا إلى تونس قبل بداية المهرجان بثلاثة أيام (نظراً لجدول مواعيد الطيران المصري الذي ينظم رحلتين في الأسبوع يومي السبت والثلاثاء). وعندما خرجنا يوم الثلاثاء من مطار قرطاج الدولي (وهو أحد المطارات التي أعجبتني، وذكرني على الفور بمطار دبي الدولي، ولكنه أصغر مساحة من مطار دبي)، وجدت أمامي الصديقين عبد الكريم وعماد، في انتظارنا.

بعد الترحيب الأخوي الشديد، والتعرف على أعضاء الوفد المصري الإسكندراني، توجهنا إلى شارع باريس، وأقمنا في أحد الفنادق الكلاسيكية الرائعة الذي يرجع تاريخه إلى عام 1911، هو فندق ماجستيك الذي ذكرني بفندق سيسل في الإسكندرية.

فرحنا بإقامتنا في وسط العاصمة التونسية بالقرب من شارع الحبيب بورقيبة، الذي يشبه إلى حد كبير شارع الشانزليزيه في العاصمة الفرنسية باريس، وبالقرب من جامع الزيتونة، ونهج الزيتونة الذي يشبه إلى حد كبير خان الخليلي في القاهرة، وزنقة الستات في الإسكندرية. فضلاً عن قربنا من مقر اتحاد الكتاب التونسيين، وشارع ابن خلدون وتمثاله بشارع الحبيب بورقيبة، وشارع أم كلثوم، وشارع جمال عبد الناصر، وشوارع أخرى كثيرة مشهورة، نكاد نعرف أسماءها في مصر.

كانت الظاهرة التي لفتت انتباهنا منذ أول وهلة حب التونسيين للفن المصري، والسينما المصرية، ففي كل مكان نذهب إليه ـ سواء في المقاهي أو المحلات أو الشوارع ـ تتناهى إلى أسماعنا أغاني أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ وغيرهم من أساطين الغناء العربي. بل البعض كان يسألنا ـ عندما يعرف أننا مصريون من لهجتنا ـ عن الحالة الصحية للفنان أحمد زكي. اكتشفت أنهم يحبونه كثيراً . وكانت إحدى دور العرض السينمائي بشارع ابن خلدون تعرض فيلم التجربة الدانماركية للفنان عادل إمام، وملصقات الفيلم منتشرة في معظم شوارع وسط العاصمة.

قضينا أيامنا الأولى في التعرف على الشوارع والأسواق والمحلات التونسية. وفي الفندق تعرفنا على الأكلات التونسية الشهيرة، وعلى بقية أعضاء المهرجان الذين قدموا من الجزائر وليبيا وإيطاليا واليونان ومقدونيا. كان معنا حسين الأحمدي الذي يّدرس في تونس دراسات إسلامية ويجيد اللغة العربية وبعض اللغات الأجنبية ويترجم لنا من كلام الشاعر المقدوني أحمد سلمان، أما عبد الكريم الخالقي فكان يترجم لنا من كلام الشاعرة اليونانية إيفا ليارو، وصديقتها الشاعرة اليونانية إيلينا باسار، عندما تتحدثان الفرنسية، أما عندما كانتا تحاولان التحدث بالإنكليزية، فلم نكن في حاجة إلى وسيط.


شبلول مع الشاعرتين اليونانيتين إيلينا باسار، وإيفا ليارو

أهديت نسخة من مجموعتي الشعرية "بحر آخر" المترجمة إلى الفرنسية، إلى إيفا وإيلينا. قرأتها إيفا ليارو على الفور واستأذنت في ترجمة بعض القصائد من الفرنسية إلى اليونانية، ونشرها في إحدى المجلات اليونانية، فوافقتُ على الفور.

في مساء الليلة الثانية وبعد اكتمال حضور الوفود، كنا نريد التوجه إلى كافتيريا الفنان لطفي بوشناق، التي سمعنا عنها، غير أننا علمنا أنه لن يكون موجوداً في تلك الليلة، فتوجهنا إلى كافتيريا أخرى أقرب، وأمضينا ليلة جميلة، ظنت خلالها إيفا وإيلينا أن الشيشة التي كان يدخنها بعضنا بها ممنوعات، فنفينا هذا الظن، فطلبا أن يجرباها بدلا من السجائر.

في صباح يوم الجمعة توجهنا بحقائبنا من تونس العاصمة إلى ولاية القصرين، حيث المهرجان الذي ستبدأ وقائعه بعد ساعات قليلة. وسارت بنا السيارة في طريق معالمه كلها خضراء في خضراء على خضراء، سواء في السهول أو المرتفعات أو الجبال، في منظر ترتاح إليه العين وتصفو النفس عندما تشاهده. وكأننا في طريقنا إلى إحدى جنات الله.

عندما وصلنا إلى بلدة جدليان، وجدنا استقبالاً شعبيا رائعاً، إذ خرج أبناء المنطقة جميعاً في استقبالنا بالرقص الشعبي والموسيقا الشعبية، وآلات العزف التقليدية، فضلاً عن الاستقبال الرسمي، فقد كان في مقدمة المسؤولين مندوب معتمدية جدليان محمد الامين، نائباً عن محافظ أو والي القصرين محمد العيد الكدوسي، ومع الأمين كان هناك مسؤولون من وزارة الثقافة والشباب والترفيه، ووزارة السياحة، واتحاد الكتاب التونسيين، وجهات أخرى عديدة.

بدأت وقائع الاحتفالية التي ظننت أنها ستكون احتفالية عادية، ولكن كل المؤشرات التي أمامي كانت تشير إلى أننا بصدد احتفالية بالفعل دولية، حيث التمثيل الحي لشعراء من بعض دول البحر المتوسط، ودول عربية أخرى وكان من المفروض أن يحضرها شعراء من فلسطين ولبنان وسوريا والسعودية والإمارات، ورومانيا وبولونيا وألمانيا وصربيا ومارتينيك، ولكنهم اعتذروا في آخر وقت، بعد أن طُبعت أسماؤهم في بطاقات الدعوة. وأعتقد أن من لم يحضر منهم خسر كثيراً من الأوقات الجميلة، والصحبة الطيبة، وكرم الضيافة، التي كان من الممكن أن يلاقيها في جدليان، وسبيطله، وتونس العاصمة.

كان مبيتنا في منطقة سبيطله - التي تبعد حوالي أربعين كيلو متراً عن جدليان - وتحتضن الكثير من الآثار الرومانية، التي اصطحبنا إليها أحد الشباب التونسيين، عندما سألناه ذات مساء عن مقهى قريب من الفندق أو النُزل الذي كنا فيه، وعندما عرف أننا مشاركون في مهرجان خيمة عليّ بن غذاهم، وأننا أول مرة نزور هذه المنطقة، أصرَّ أن يأخذنا في جولة سريعة - في سيارته - لمشاهدة آثار المنطقة وشوارعها على أضواء النيون، قبل أن يدلنا على مقهى قريب. وفي الصباح ذهبنا لرؤية الآثار في ضوء الشمس التونسية الحانية.

عدنا إلى جدليان بعد أن زرنا الآثار الرومانية، وشاهدنا ما تركه الرومان منذ القرن الأول الميلادي، وما خلّفه الإمبراطور جرجير من آثار تركها على حالها الصحابي عبد الله بن الزبير، وبقية العبادلة، الذين هزموا جرجير، وتزوج عبد الله من "سبيطله" ابنة جرجير، ودخلت في الإسلام.

في جدليان استأنفنا برنامج المهرجان، ثم خرجنا في جولة سياحية جبلية عظيمة الفائدة، فصعدنا المرتفعات، وهبطنا الوديان، وشاهدنا عيون المياه الطبيعية، أو مياه الأمطار، التي تروي المنطقة كلها، بناسها، ونباتاتها، وحيواناتها، ومررنا على المراعي الطبيعية، ورأينا محاصيل كثيرة منها الشاي الأخضر، وبعض الأعشاب الطبيعية ذات الفائدة الكبيرة لصحة الإنسان. والتقطنا الصور التذكارية، وكانت بعض كاميرات الفيديو تسجل أحداث اللقاء بالطبيعة الخصبة التونسية، في جو صحو وهواء نظيف، خال من الملوثات والعوادم.

بعد انتهاء المهرجان، وانقضاء أيام جدليان، عدنا إلى العاصمة التونسية، وكان أمامنا يومان

آخران، قبل موعد إقلاع الطائرة المصرية من تونس إلى القاهرة. فقررنا زيارة اتحاد الكتاب التونسيين الذي يقع قريبا جداً من الفندق بشارع باريس، وهناك التقينا بالشاعر الميداني صالح رئيس اتحاد الكتاب، ورضا الملولي رئيس تحرير مجلة "المسار" التي يصدرها الاتحاد، والطيب الفقيه أحمد المتخصص في أدب الأطفال، والذي التقيته في مؤتمر الجزائر، ومحمد الهاشمي بلوزة، عضو مجلس إدارة الاتحاد، وكان لقاء طيباً تركنا فيه مع الحب والود، بعض القصائد والمقالات لنشرها في مجلة "المسار". كما زرنا صحيفة الصباح، والتقيت بالصديق الشاعر يوسف رزوقة الذي أصبح المسؤول الأدبي بالجريدة، والمشرف على ملحق الجمعة.

ثم قمنا بزيارة مبنى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الإلكسو) ومحاولة فهم ما يجري بخصوص المشاركة العربية في معرض فرانكفورت الدولي في السادس من أكتوبر من هذا العام. والتقيت بالصديق القديم الشاعر محمد أحمد القابسي الذي أصبح وزيراً مفوضاً ورئيس ديوان المنظمة التابعة للجامعة العربية.

اتصلت بالقابسي على الهاتف المحمول الخاص به ليلة حضوري إلى تونس، فوجدته يرد عليّ من باريس. وحدد لي ميعاد عودته لكي ألتقي به، وكان الموعد يتعارض مع أيام جدليان، فقلت لا بأس عندما أعود من جدليان أعاود الاتصال. فاتصلت به بعد العودة، ووصف لي مكان المنظمة بشارع محمد الخامس، وبالقرب من السفارة المصرية.

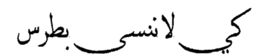
ذهبت، وكان معي الصديق الشاعر جابر بسيوني، والتقينا بالقابسي الذي رحب بنا ترحيبا شديدا، وذكّرني بأسماء أصدقاء قدامى في تونس، ولكني لاحظت مدى انشغاله، وزحمة مكتبه بالأوراق والأشخاص الذين يدخلون ويخرجون، وعندما أردت الانصراف، أبى ذلك، وأصر على طلب القهوة، وبعد أن شربنا قهوتنا، أردت الانصراف لأنني أحسست أننا نعطله، فنحن لا نعرف كيف نحادثه، ولا هو، ووجدت - على مكتبه - خطابات من السيد عمرو موسى - أمين عام جامعة الدول العربية، تنتظر الرد السريع، والموظفون يدخلون ويخرجون، ويريد أن يصرفهم ليفرغ لنا، وكاد ينجح، ولكن يرن جرس الهاتف، وإذا بالمتحدث د. المنجي بوسنينة أمين عام المنظمة، فيسقط في أيدينا جميعا، ويضطر القابسي أن يغادر مكتبه، ليدخل مكتب بوسنينة، ونستأذن في الانصراف، وعندما أراد أن نلتقي مساء، قلت له: إننا سنغادر تونس بعد ثلاث ساعات من الآن، فأراد أن نغادر المبنى في إحدى سيارات المنظمة. قلت له معتذراً: لم يبق سوى سويعات قليلة أريد أن أترجل فيها لأودع شوارع تونس الخضراء.

أحمد فضل شبلول عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب في مصر.

Ahmad Fadl Shabloul is a member of the board of the Egyptian Union of Writers. The above article is titled *Our Days in Jidlian, Tunisia*. It describes Shabloul's travel to an international poetry conference in Tunisia.

نـويل عبـد الأحد

سلّة نـويل



لا ينضوي العمل الإبداعي، بكافة أشكاله وألوانه، إلى لواء "الموضة" العابرة – إن صحّ التعبير – كما ليس له موسم قطاف، فهو قابل للجني، في كلّ آن وأوان، وما يجنى منه وكذلك مهما يجنى منه غير قابل للنفاذ. فلا تقوى يد الزمن على العبث به، أو محوه، لأنه ينبوع لا ينضب وعطاء متواصل التدفق...

أوان تسلمت نسخة من كتاب "كي لا ننسى"،[1] قبل حوالي أكثر من عام، شرعت في قراءة مادته، بتلهف... وبسرعة من يقرأ رواية بوليسية، لمتابعة مغامرات أبطالها وصولاً إلى حلّ الأحجية، وراءها...

"كي لا ننسى" ضم بين دفتيه بعض ما كتبه الصديق الأستاذ بطرس عنداري، من أصل مئات المقالات الأخرى، التي سبق وأن نشرها في إحدى زوايا الصفحة الأخيرة من جريدة النهار التي أسسها في أستراليا قبل حوالي نصف قرن، وكان يوقع مقالاته تحت اسم "أبو زياد"، كُنيته.

تناولت مقالات الأستاذ عنداري موضوعات شتى من بينها الشؤون الحياتية والاجتماعية، وبصورة خاصة التي تحياها الجالية العربية في أستراليا. وقد تميزت كتابتها بالموضوعية، والشجاعة، وتلفحت تارة بالنقد الشفاف وأخرى باللاذع، وصيغت بلغة جميلة وأسلوب مشرقي مشوق، ومهرت أغلبية المقالات بالسخرية العفوية، التي تميزت بخاتم كاتبها وحده.

بعد ان فرغت من قراءة هذا الكتاب الرائع، قررت أن أعود لقراءة بعض مقالاته – لا بالتعيين – بين فترة وأخرى... ولهذا جعلته قبالة ناظري على أحد رفوف مكتبتي بين كتابين، واحد ضم جميع أعمال الكاتب الفرنسي رابيليه (توفي عام 1553)، وآخر يضم مجموعة كبيرة من مقالات الصحافي الأميركي المعاصر آرت بوشوالد، تتميز بالسخرية وأسلوبه الخاص به.

المبدع – سواء أكان فناناً تشكيلياً أم كاتباً أم شاعراً أم مهندساً أم مصمم أزياء أم معماري أم حداد أم نجار – لا يعرف التقليد. قد يكون معجباً بغيره من مبدعي "مهنته"، لكن له طريقته الخاصة في "الإبداع". أما المقلد فسرعان ما يظهر عرجه... وسقوطه.

الأستاذ عنداري، فنان مبدع في حقل كتابة المقال، ومعظم مقالاته هادفة. وكتابة المقال الاجتماعي

[1] منشورات صحيفة النهار، سيدني، 295.2002 صفحة من القطع الوسط.

أصعب ألف مرة من كتابة المقال السياسي. وهذا ذكرني بما ذكره الأستاذ جهاد الخازن – إن لم تخني الذاكرة – في إحدى مقالاته، إذ قال بما معناه إنه يعاني من الجهد كثيراً عندما يهم في كتابة مقال اجتماعي، على عكس كتابته للمقال السياسي. وفي هذا القول كثير من الحقيقة، فالمقال السياسي يأتي نتيجة لأحداث الساعة، وبإمكان المتابع للسياسة أن يرصد الحدث السياسي، ويحلل ما أمكنه وفق وجهة نظره.

لكن من يتصدى لكتابة المقالات غير السياسية، لا بد أن يكون له باع طويل في الثقافة بصورة عامة، وأن تكون أحداث الحياة أخصبت تجاربه وخبراته. وأن يكون ذا نزعة فلسفية إنسانية. وهذه الكفاءات توفرت في شخص الأستاذ عنداري، فلا عجب أن نعرف أن زملاءه في أستراليا قد "طوبوه" عميداً لهم.

تميزت قلّة من الصحافيين العرب، الذين أجادوا في كتابة "المقال الاجتماعي" المتصف بالسخرية، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، محمود السعدني، والمرحوم الصديق عبد الله الشيتي، وشريف الراس، وخالد القشطيني... فكان لكل واحد من هؤلاء أسلوبه الخاص، ولم يكونوا أبداً مقلدين.

ويطيب لي، في هذه العجالة أن أقتطف بعض الفقرات من إحدى مقالات الأستاذ عنداري، بعنوان "لا خطر على الدين إلاّ من هؤلاء" لاطلاع القارئ الذي لم يسعفه حظه قراءة ما دبجته يراع هذا الفنان القدير:

'كذلك تحول الدين إلى خندق يحتمي به بعض التجار وشذاذ الافاق، لستر العورات، وبث الدعوات، وتغطية الجهل ببعض المواضيع، وأسوأ حالات الدين والفكر عندما يخوض إنسان في موضوع يجهله ويظن أنه عالم بتفاصيله...

فالدين ليس نزوة عاطفية أو خيمة ورقية تنهار عند هبوب رياح خفيفة أو عند تغير الأحوال، كما أن الدين لم يصل إلى الإنسان بعملية غسل دماغ لنخشى على زواله أمام رأي آخر...'

وينهي الأستاذ عنداري بقوله:

'إن بعض رجال الدين ودعاته يتكلمون وكأن الاديان كثبان رمل تزيلها أية موجة عابرة، بينما الدين رسالة متعمقة في القلوب والعقول... لا نرى أي خطر عليها سوى من هؤلاء.'

نويل عبد الاحد كاتب وناقد ومترجم يعيش في الولايات المتحدة الاميركية. معروف بترجمته لكتاب "النبي" لجبران خليل جبران. مستشار "كلمات".

Noel Abdulahad is a writer, critic and translator, living in USA. He is renowned for his translation of Gibran's *The Prophet*, considered the best. He is an adviser to *Kalimat*. The above article is a personal commentary on Peter Indari's book *Lest We Forget*.

عدنان الظاهر

أطوال موجة

الفنان محمود صبري ونظريته "واقعيّة الكم"

(Quantum Realism)

حين كنت أقوم بتدريس مادّة كيمياء الكمّ Quantum Chemistry لطلبة السنة الرابعة في كلية العلوم، كلفني قسم الكيمياء في ربيع عام 1973 أن أقابل الفنان العراقي محمود صبري (أبو ياسمين) الذي كان وما زال مقيما في العاصمة التشيكية براغ، وأن أقوم بتقويم نظريته الجديدة في الرسم التي أطلق عليها اسم "واقعية الكم". وتعتمد على المفاهيم التي سنذكرها لاحقاً حول الأطياف ونظرياتها.

تم بيننا اللقاء الأول في مطبعة وأوفست رمزي في بغداد، فتبادلنا أطراف الحديث حول نظريته مطولا. ثم زودني الرجل بالكثير من تفصيلات نظريته وسبق أن أعد كتيباً عنها باللغة العربية وآخر بالإنكليزية مزودين بلوحات ملونة جميلة. وعدته أن أكتب دراسة عن الموضوع، وأن أقرأ هذه الدراسة أثناء تقديمي له في الأمسية الخاصة التي نظمها له اتحاد الفنانين العراقيين في مقره في المنصور، مقابل منتزه الزوراء في بغداد. قلت له سأكون شديداً في نقدي وسأقول ما لك وما عليك. ردَّ الرجل بكل أدب وتواضع وثقة: 'قلْ ما شئت'.

قرأت دراستي في مساء اليوم المحدد على حدائق مقر الاتحاد وقدّمت الفنان أمام حشد كبير من الفنانين وأساتذة معهد وأكاديمية الفنون الجميلة وكان المرحوم الروائي جبرا ابراهيم جبرا جالسا في الصف الأول. كما كان حاضراً زميلي في قسم الكيمياء الدكتور غازي عبد الوهاب درويش، نسيب الفنان حافظ الدروبي. تكلم الفنان محمود صبري بعدي شارحا أسس نظريته الجديدة في الرسم وعارضاً سلايدات لبعض رسوماته. كانت مناسبة قلّما شهد عالم الفن مثيلاً لها في بغداد.

سعيت إلى ترتيب لقاء آخر للفنان في مقر المركز الثقافي السوفياتي الواقع على شارع أبي نؤاس في بغداد، والمطل على نهر دجلة. كان تجاوب المسؤول السوفياتي عن المركز مع اقتراحي ودياً وحاراً فسارع إلى الإعلان عن محاضرة يلقيها الفنان محمود صبري مساء يوم حدده في الإعلان الذي نشرته بعض الصحف الصادرة في بغداد، بل تم طبع وتوزيع رقاع للدعوة غاية في جودة الطباعة والإخراج. حصل اللقاء الذي لم يحضره - خلافاً لتوقعاتي - جمهور كبير. كما أصر أحد موظفي المركز السوفياتي من العراقيين، مهدي العبيدي، أن يقوم هو لا أنا بتقديم الفنان لمن حضر تلك الأمسية! وهكذا كان.

أما المفاجأة الأخرى فهي اللقاء مع شفيق الكمالي الذي كان يومذاك وزيراً للثقافة والإعلام. فلقد

دعاني محمود صبري إلى لقاء على عشاء ضم الوزير الكمالي والكاتب محمد كامل عارف. تم اللقاء مساءً في حديقة نادٍ أو مطعم - الذاكرة تخون أحياناً - وكان موضوعه الرئيس محاولة إقناع الوزير بتأسيس مركز فني للدراسات النظرية والتطبيقية يكون الفنان محمود صبري مديره والمسؤول عنه مع استعداده لمغادرة مقر إقامته في براغ والعودة إلى بغداد. لا أتذكر جيداً مواقف الكمالي من هذا المشروع لكني أعرف جيداً أنه لم يُكتبْ له النجاح ولم يرَ النور... ربما بسبب إعفاء الكمالي من وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

إلتقيت بعد ذلك الفنان محمود صبري ثلاث مرات في مدينة براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا حينئذ. كانت المرة الأولى في صيف عام 1977 أثناء سياحة قمت بها مع عائلتي. وتم اللقاء الثاني صيف 1979 حيث زرت وعائلتي عدة مدن أوربية كانت براغ إحداها قادمين من طرابلس في ليبيا حيث مارست، بعد أن تركت العراق في تموز 1978، التدريس أستاذاً للكيمياء في جامعة الفاتح في مدينة طرابلس. أما اللقاء الثالث والأخير فقد تم في بيت الفنان في براغ صيف 1981 على هامش سياحة أوربية.

ناقشنا خلال هذه الزيارات بإسهاب الجوانب المختلفة لنظرية "واقعية الكم" وأدهشتني ثقة الفنان بنفسه ووجهات نظره الجديدة تماما، لكني أحسست خلال اللقاءات الأخيرة أن هناك ظلاً خفيفاً من الإحباط يُخفيه الفنان بتصميم شديد الكبرياء ناجم - كما أحسب - عن البطء في سرعة إنتشار ونيوع نظريته وعدم تشجيعها أوتبنيها من قبل حكومةالعراق وفنانيه، فضلاً عن الفنانين الأجانب والدول الأجنبية ومؤسساتها الفنية من معاهد وأكاديميات.

لقد فرض الرجل على نفسه نوعاً من عزلة الزهد والتنسك التي تذكرني برجال أمثال المسيح والخليل بن أحمد الفراهيدي والفارابي ورهبان الكنائس وصومعات التعبد. لفتت نظري قناعة الرجل بما لديه، وبساطة نمط حياته ونحول قامته ووسامة وجهه ذي العينين الزرقاوين بلون السماء، وشعر رأسه الرمادي، ثم تواضعه الجم وخلقه الإنساني الرفيع .

كيف يرسم محمود صبري لوحاته حسب نظرية واقعية الكم ؟

للإجابة عن هذا السؤال لا بد من شرح بعض الأمور الأساسية حول الأطياف وطبيعتها والفرق بين أطياف ذرة الهيدروجين وأطياف المركبات الكيميائية.

الأطياف نوعان : أطياف امتصاص absorption spectra وأطياف انبعاث emission spectra.

طيف الامتصاص ينجم عن إنتقال إلكترون من مستوى محدد للطاقة إلى مستوى أعلى منه. فإذا ما عاد الإلكترون إلى مستواه الأدنى الذي قفز منه يتحرر قدر محدد من الطاقة مساوٍ للفرق بين مستويي الطاقة، أو بالضبط القدر الذي امتصه في صعوده إلى المستوى الأعلى.

وهذا ما يسمى عادة بطيف الانبعاث. وطيف الانبعاث هو أشعة ذات طول موجي محدد قد تكون مرئية أي ملونة وقد لا تكون مرئية مثل الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء. فجوهر الظاهرة ما هو إلاّ انتقالات إلكترونية تحدث تحت تأثير حاثّ خارجي كتعرض الذرة أو المركب الكيميائي للضوء أو قصف الذرة بقذائف من الإلكترونات السريعة أو بالشرارة الكهربائية أو تحت تأثير

الحرارة العالية. فالطيف المرئي لذرة الهيدروجين - وهي أبسط الذرات ولها إلكترون واحد فقط - إنما يُحتثُ بالشرر الكهربائي في أنابيب زجاجية خاصة محكمة الغلق تحت ضغط منخفض شديد الاختزال. فالعملية مصطنعة أساساً تجري تحت شروط خاصة يستجيب لها إلكترون ذرة الهيدروجين، والهيدروجين غاز كما هو معلوم.

أما المركبات الملونة فهي في الأغلب مركبات سائلة أو صلبة. وهي ملونة أساساً دونما اصطناع. فضوء النهار (الفوتونات الشمسية) يكفي لتحفيز الإلكترونات كيما تقوم بالإنتقالات المحسوبة إمتصاصاً ثم إنبعاثاً، الأمر الذي يؤدي إلى إنطلاق أشعة كهرو-مغناطيسية بشكل موجات تتحسس شبكية عين الإنسان أطوالها الموجية، أي تراها كالوان .

إنتقالات إلكترونات المركبات الكيميائية أيسر من إنتقالات إلكترون الهيدروجين بكثير، وذلك لقرب مدار دوران هذا الإلكترون حول بروتون نواة الذرة الوحيد. أي أنه واقع تحت تاثير قوة جذب عالية جداً، الأمر الذي يعرقل حرية حركته خارج حقل جذب النواة. لذلك فالمركبات ملوّنةٌ نهاراً بشكل طبيعي. غاز الهيدروجين لا لون له في الظروف الاعتيادية، أما بللورات ملح الطعام، على سبيل المثال، فإنها بيضاء اللون لانها تعكس النور الساقط عليها ولا تمتصه. الماء والكحول تمتص موجات الطيف الشمسي الكهرو-مغناطيسية غير المرئية.

المركبات الكيميائية ليست مجرد جمع حسابي لمجموعة من الذرات. فالهيدروجين يفقد خصائصه الأصيلة بما فيها أطياف الانبعاث حال اتحاده بالاوكسجين لتكوين جزيء من الماء. الماء المتكون من هذا الاتحاد عالم آخر ليس له طيف ملون وإنه مركب سائل اعتيادياً بينما الهيدروجين غاز. لذلك يقع الفنان محمود صبري في خطأ فادح إذ يعرض أطياف الانبعاث لذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين معاً في لوحة واحدة ملونة على أنها تمثل جزيئة ماء. لو صحَّ هذا المنطق والنهج لصحّتْ المعادلة

الأب + الأم = الابن المولود

نعم، في الوليد الجديد بعض خصائص الأب وبعض خصائص الأم الجينية، لكنه قطعاً لا يمثلهما تمام التمثيل .

كذلك الأمر بالنسبة للكحول والطين وباقي المركبات التي رسم محمود لوحاتٍ لها.

هنا تدخل نظرية "واقعية الكم" في إشكال وتناقض قاتل ينسف أساسياتها من حيث كونها في التطبيق العملي ليست واقعية وليست جدلية وليست دينامية، أي أنها ليست كمية. فميكانيك الكمّ Quantum Mechanics حل أعظم معضلتين واجههما الفكر العلمي وهما:

1- العلاقة بين الجسيم والموجة (هل الإلكترون جسيم أم موجة؟)

2- العلاقة بين الكتلة والطاقة.

فأين موقع "واقعية الكم" من هذا؟ رَدْ على ذلك أن مخطط مستويات الطاقة لذرة الهيدروجين الذي يتبناه محمود صبري حرفياً في حسابات ورسم ألوان لوحاته هو واحد من إنجازات العالم الدنماركي نيلز بور Niels Bohr العظيمة التي استحق عليها جائزة نوبل عام 1922. علماً أن هذه

الإنجازات الجليلة كانت قد سبقت تطبيقات نظرية الميكانيك الكمي بسنين. فمن هذه الوجهة على الاقل لا علاقة لواقعية كم محمود صبري بفيزياء الكم. أي أنها مجرد اسم لا يجمعه والمسمّى أي جامع.

صحيح إنَّ الطيف اللوني المرئي هو الهوية اللونية للعناصر ولكن، فات الأستاذ الفنان محمود أنَّ في الإمكان إصطناع أيون لعنصر آخر غير الهيدروجين يحاكيه تماماً من حيث الخصائص الطيفية. أي أنهما يحملان نفس الهوية اللونية. أذكر على سبيل المثال أيون ذرة الهيليوم (He^+) الذي يحمل شحنة موجبة واحدة وأيون ذرة الليثيوم (Li^{++}) ذا الشحنتين الموجبتين. لكلٍّ من هذين الأيونين إلكترون واحد فقط يسلك تماما سلوك إلكترون ذرة الهيدروجين.

ثمَّ ما هو موقف الأستاذ الفنان من العناصر الملونة أصلاً وطبيعةً كالذهب والنحاس والكبريت واليود وبعض المركبات الغازية مثل أكاسيد النايتروجين؟ كيف يرسم محمود طيف عنصر الذهب مثلاً وخصائصه وهويته اللونية قد عرفها الإنسان القديم منذ سومر وبابل ومصر الفرعونية؟

الكيميائي والفيزيائي يهتمان بالأطياف كافة، ما يُرى منها بالحث الضوئي أو الإلكتروني وما لا يرى بالعين المجردة. الطيف الذي لا تراه العين يُكشف عنه بالافلام. فاشعة إكس (الأشعة السينية)، لا يراها الطبيب ولا يراها المريض لكن كليهما يستطيع رؤية آثارها في اللوح الفوتوغرافي المستخدم في تصوير الصدور والعظام وأحشاء الإنسان الداخلية. في هذا المقام أود أن أسأل فناننا هل في مقدوره أن يرسم لوحات ملونة للموجات الكهرو- مغناطيسية (أشعة أكس) والأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء وكلها لا تراها العين وإنها أمواج وإنَّ الفنان يحسب الأطوال الموجية وفق معادلة بسيطة معروفة؟

أسعدني أن أعلم أن الفنان محمود صبري قد وسع منهاجه فانجز لوحة يصور فيها الطيف الكهرومغناطيسي لذرة الهيدروجين كاملاً، المرئي وغير المرئي. لكني أتساءل كيف يتمكن الفنان من رسم شيء لا يراه وأيَّ لون يُعطيه؟ خاصةً وأنَّ عالم الرسم هو عالم الأصباغ والالوان لا وجود له بدونهما، تلك هي المعضلة.

ثمة سؤال قديم-جديد يطرأ على بال الإنسان فحواه: هل رسمُ أطياف الإلكترون غير المرئية هو هدف الفن ورسالة الفنان أم الإنسان وواقعه الملموس والمرئي جداً جداً؟

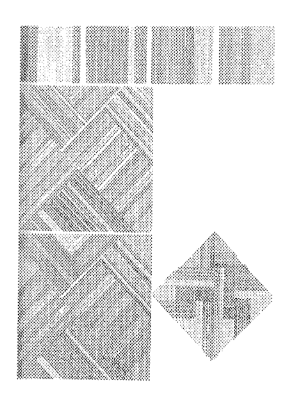
في الختام وبعيداً عن عالم الفيزياء والكيمياء، لا بد من كلمة أقولها بحق الفنان محمود صبري تنصب على جهوده الدؤوبة وصبره النادر. إنه رجل يجتهد والمجتهد مُثاب أخطأ أو أصاب. لقد شق الرجل طريقاً لم يسبقه إليه أحدٌ حسب علمي. وإنه يسعى لإقتناص وتثبيت اللون النادر الأصيل الذي لم تجبله يد صانع أو صبّاغٍ أو فنان. إنه يحسب ويثبت هذا اللون على لوحة، فالأطياف هي أطوال موجية يمكن حسابها وتحويلها إلى ألوان باستخدام معادلة "ماكس بلانك" التالية:

$$E = hc/ Lambda$$

حيث تمثل Lambda طول موجة الطيف.

محمود صبري مسحور باللون الفذ الفريد والأصيل وبكل ما يمت لجوهر الأشياء بصلة. وعلى هذا الأساس فإنّ فلسفته في عالم الفن هي فلسفة إنسانية خالصة، ونهجه نهج خُلُقي سامٍ لأنه يسعى - وقد سعى - للكشف عن فن مؤسّس على قواعد علمية، فن نابع من حقائق علم الطبيعة.

ولأن الرجل عاشق للحقيقة، فإني كصديق وضعت أمامه ما أعرف من أمور تخص عالمي الكيمياء والفيزياء.



من أعمال محمود صبري

الدكتور **عدنان الظاهر** كيمياني وكاتب وشاعر من أصل عراقي، يعيش في ألمانيا. عمل في التدريس والبحث العلمي في عدد من الجامعات العربية والبريطانية. له عديد من المؤلفات الأدبية نثراً وشعراً، باللغات العربية والإنكليزية والألمانية.

Dr. **Adnan al-Dhahir** is a scientist, writer and poet of Iraqi origins, residing in Germany. He worked for some Arab and British universities lecturing and researching in chemistry. He has published poetry and prose in Arabic, English and German. The above article is titled *The Artist Mahmoud Sabri and His "Quantum Realism" Theory.* Al-Dhahir explains why this theory is baseless, and cannot be applied to paintings.

خالد الحلّي

محافل الأدب

يحيى السماوي

الأفق نافذتي

بعد عشر مجموعات شعرية، صدرت هذه المجموعة للشاعر السماوي بنشر خاص في سدني، وهي تقع بـ211 صفحة من القطع الوسط، و تضم إحدى وثلاثين قصيدة من الشعر العمودي وشعر التفعيلة، يذوب فيها الشاعر وجداً ويحترق معاناة وهو يتحدث عن مآسي وطنه العراق وما تعرض ولا يزال يتعرض له من ضيم.

قصائد المجموعة تعبر عن مكابدة شعب وتطلعاته بمشاعر مرهفة وحس حاد. ومن أجواء المجموعة:

لا تذبحوا حبيبنا العراقْ
نصرخُ باسم طينِه
باسم يتاماه..مُشَرّديه..
جائعيه..
باسم نَخلِه
وعصرِنا المُثْكَلِ في مكارم الاخلاقْ
باسم عروبةٍ غَدَتْ
دون يدٍ وساقْ
فَلْتَشْركوا مصيرَهُ
لأهله العشاقْ



زنابق برية

للشاعر يحيى السماوي أيضاً صدر بنشر خاص في سدني ديوان شعر بـ211 صفحة من القطع الوسط ضم 195 رباعية من رباعياته الشعرية. وفي تقديمه للمجموعة يحدّث الاديب الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري عن الشاعر السماوي عن رباعياته قائلاً: 'من قراءتي لها حكتْ لي أشاء كثيرة بلغة غير مبهمة، لأنها لغة لا يخفض جفنها ذنب أو ذنوب. ما معي منها هو الصدى، فأنت الصائح المحكيّ، والآخر الصدى. هي عذراء، وأنت خاطبها، وأنت عريسها، لست في حاجة لصدى الجبل، فما أكثر ما أختنا الصدى إلى جبل رضوى نسائله: أفي أعماقك خطباء

وحكماء وشعراء ملهمون، أو غير ملهمين؟ ما هذا الصدى الذي تردده؟ ولمن هو؟ أفي ذاكرتك شيء يا جبل رضوى، تحكيه لنا بلغة العلم اليوم؟ فنضع رَحْلنا، فنتلمس اليقين بدل الصدى؟ هي دنيانا، هي نصيبنا من هذا الكون، هي امتحاننا، لها يوم آخر معنا، قد ينطق كل عضو من أعضائنا جواباً عن أسئلة، فما حجتنا إذا جاءت أعضاؤنا شاهداً لنا أو علينا؟ اللهم رحمتك بنا! أخي يحيى: أتدري أنك في رحلة وسفر مع أحاسيسك ومشاعرك، تقاضي أهل الطريق التي يقف عليها بليدٌ يعيب كل من مرّ به.'



علي القاسمي

مرافئ على الشاطئ الآخر

في هذا الكتاب الصادر ضمن منشورات أفريقيا الشرق في بيروت والدار البيضاء، بـ254 صفحة من القطع الوسط، يقدم لنا الدكتور علي القاسمي اثنتين وعشرين قصة لبعض أبرز الأصوات القصصية الأمريكية وأعلاها في القرن العشرين، محاولاً الاقتراب من أسلوب وتقنيات كل كاتب قدر ما تسمح به ترجمة النصوص الأدبية .



لقد اعتمد الدكتور القاسمي في هذا الكتاب، على مجلد ضخم يحمل عنوان "أحسن القصص الامريكية في القرن العشرين" صدر بإشراف الشاعر الامريكي جون أبدايك، واشتمل على خمس وخمسين قصة قصيرة مختارة من الإنتاج القصصي الأمريكي في الفترة الواقعة بين عامي 1915 و1998.

وكانت هنالك ضمن الاختيارات قصة واحدة لكل من ستة عشر كاتباً هم جيمس ثيربر، شيروود أندرسون، جون شيفر، هارولد بر ودكي، جويس كارول أوتس، رون كارلسون، باري حنّا، ليونارد ميخائيل، جون أبدايك، أليس آدمز، دونالد بارثلم، سوزان سونتاغ، توبيار وولف، تيم أوبراين، بام دوربان، آن بياتي. إلا أنه اختار قصتين لارنست همنغواي، وثلاث قصص لإسحاق عزيموف.

عبد القادر الجموسي

عودة جلجامش، حكاية ملحمية

يستمد الدبلوماسي المغربي عبد القادر الجموسي مادة هذا الكتاب من الملحمة الشعرية العراقية القديمة "جلجامش"، ولكنه لا يقدم عبر صفحاته

الست وتسعين ترجمة حرفية لما جاء في الألواح السومرية الإحدى عشرة التي وجدت من الملحمة.



عبد القادر الجموسي

وإنما أراد للكتاب أن يكون صياغة أدبية حديثة لحكاية الملك "جلجامش"، صياغة تحتفظ للنص الاصلي بعناصره الأساسية ومخزونه الثقافي والحضاري، كما تغامر في اتخاذ خيارات سردية وجمالية تمنحه حيوية راهنة ونكهة ذاتية تخاطب ذائقة القارئ المعاصر وتستجيب لأفق انتظاره الفني؛ وأحياناً تتعمد إرباكه بشحنة خيالية مغايرة للمألوف تزج به في فضاءات متخيل قديم متواصل ومتجدد.

ويرى مؤلف هذا الكتاب الصادر بطبع خاص في مدينة القنيطرة المغربية، أن ملحمة "جلجامش" هي بمثابة نص جامع تلتئم في معماره نصوص أدبية سابقة على وجوده وتتراءى في ثناياه أحداث ورواسب أساطير وملاحم معاصرة له، كما تتصادى في رحمه بوادر وإرهاصات نصوص لاحقة تعتبر اليوم من أمهات كتب الأدب الإنساني العالمي.

خولة الرومي

الصمت حين يلهو

عن دار المدى في دمشق صدرت للدكتورة خولة الرومي رواية بعنوان "الصمت حين يلهو"، أطلت علينا بـ423 صفحة من القطع الوسط، وتشعبت إلى تسعة فصول حمل آخرها عنوان الرواية.

وقد جسدت الكاتبة في هذه الرواية صوراً معبرة لأحداث مهمة في تاريخ العراق الحديث، ولامست هموم ومعاناة الشعب العراقي عبر مراحل زمنية مختلفة، معبرة بذلك عن اطلاع واسع ودقيق على تاريخ الحياة السياسية والاجتماعية في العراق.

'الصمت يلهو، والقدر يقرع الباب، وتأخذ الحياة مداراً آخر، محاصراً بالموت في لحظات المواجهة، أو الاختفاء، في ساعة حب، أو في غرفة التحقيق، ويتحول الوطن القديم إلى جحيم أرضي ملتهب، بينما تعوي الريح.'



تمر الرواية بأحداث كثيرة منذ ثورة عام 1920 ضد الاحتلال البريطاني، وتنتهي عند ابتداء التهديدات الأمريكية لشن حرب عام 2003 على العراق.

وسبق أن صدرت للرومي عن دار المدى أيضاً

رواية أخرى بعنوان "رقصة الرمال"، نقرأ على غلافها الاخير انها رحلة في قيعان مدينة، واستطلاع في نسيج علاقات البشر في عالم سفلي زاخر بالصبوات والخذلان، مليء بالخائبين والمتطلعين والجلادين.

رشيد برهون

درجة الوعي في الترجمة

في إطار مشروعها الثقافي الذي استهلت به مكتبة سلمى الثقافية تأسيسها كمركز جديد للإشعاع الثقافي والحضاري في مدينة تطوان المغربية، صدر هذا الكتاب للدكتور برهون كمشاركة جدية وواعية ورصينة في مجال الترجمة ونقدها ومساراتها في التحديث والعولمة، وكدراسة هادفة تتطرق في موضوعها ومضمونها إلى اللغة والترجمة والثقافة بصفة عامة.

لقد سعى هذا الكتاب إلى إضاءة خفايا السؤال، وفتح آفاق التحليل في قضايا الترجمة بوصفها التجربة الأساس ضمن تجارب الإنسان الثقافية والانثروبولوجية، وليس ذلك من قبيل المصادفة، فاللغة هي جوهر فكر وثقافة، والإنسانية ستظل تفكر وتتكلم لتنتصر على الوحشية والإلغاء المتبادل.



رجاء نعمة

فراس وأحلام المدينة

رجاء نعمة روائية لبنانية، وباحثة في اللغويات الحديثة. نُشرت لها كتب تعليمية تثقيفية للفتية وأبحاث في التحليل الاجتماعي والنفسي للأدب. من أعمالها الروائية "حرير صاخب"، "مريم النور"، "كانت المدن ملونة"، وغيرها.

رجاء نعمة



وقد أطلت علينا روايتها الأخيرة "فراس وأحلام المدينة" بـ174 صفحة من القطع الوسط ضمن منشورات الساقي في بيروت ولندن، متمحورة حول الصراع بين العدل والظلم. ومن أجواء الرواية:

'إنهض يا فراس، إنهض... إنهض يتحقق حلمك وحلمها.

'حلمها؟ مَن هي؟'

'الفتاة التي أحببتها ورسمت لها الصورة.'

'يا إلهي كيف اكتشفت السر؟ لكن بما انك اكتشفته أخبرني ماذا تعرف عن هذه الفتاة؟ وما هي أحلامها؟'

'فتاة نبيلة، تحلم أن تعيش في عالم بلا حروب، وأن تعود المدينة كما كانت وأجمل.'



'معقول هذه هي بالضبط!'
'طبعاً معقول، فالأحلام الجميلة تتشابه.'
فرك فراس عينيه وهو يتساءل: 'هل أنا في حلم،
أم إنّي في يقظة وعِلْم؟'

نبيهة قارة

مشكلة الوهم في الفكر الفلسفي

عن مركز النشر الجامعي في تونس، صدر هذا الكتاب بـ144صفحة من القطع الوسط، وضم بعد مدخل عام ثلاثة فصول موسعة تناولت بالعرض والنقاش الوهم والخطأ، والوهم والمعرفة، والوهم والحياة.

إن الوهم كما ترى المؤلفة يفترض تنافراً بين المعرفة والحياة، بين منظور المعرفة ومنظور الحياة. فما تقتضيه المعرفة تقوّضه المعرفة في سعيها إلى الحقيقة. إلا أن الحياة تقف بدورها ضد المعرفة التي لا ترتضيها فتنعت "الحقيقة بأنها وهم". هل بإمكان الإنسان أن يوفق بين هذين النظامين ويتحرر من الوهم؟ إن الوهم يحاصر الإنسان بلا علم منه، فهو غير واع ولا هو إرادي بما أن الإنسان لا يمكنه أن يريد الباطل عن تبصر.

زد على ذلك أن الذات التي تسعى إلى التحرر من الأوهام الثقيلة والراسخة في أعماقها تستطيع كذلك إنتاج أوهام أشد فعالية تنتمي إلى صنف من شأنه أن يخفي بطلانه الخاص ويزعم أنه حقيقي، وكأن كينونة الإنسان تحمل في ذاتها ازدواجية تدفعها إلى التذبذب وإلى الامتطاء المتزاوي لنظام الكينونة ونظام الوهم، لنظام الاستنباط الصحيح ونظام الاستنباط الخيالي.

خالد الحلي شاعر من أصل عراقي يعيش في لندن. مستشار كَلِمَات.
Khalid al-Hilli is a poet of Iraqi origins who lives in London. He is an adviser to *Kalimat*.

كما وردتنا التعليقات والكتب التالية

علي القاسمي

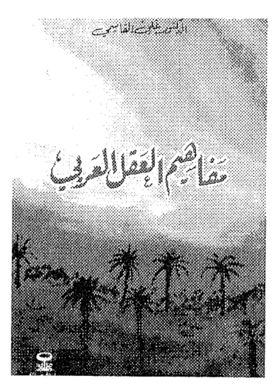
مفاهيم العقل العربي

في محاولة لتأسيس المعرفة على العقل، ذهب الفلاسفة العقلانيون إلى أن لكل موضوع (أو شيء) في الوجود ماهية محددة (أو جوهر). ويكوّن الإنسان في ذهنه تصوّر أو مفهوم لكل شيء عن طريق رصد خصائصه أو سماته الذاتية التي تحدد جنسه ونوعه وفصله. ولما كان الوجود واحداً فإن مفاهيم مكوناته في العقل البشري واحدة

مهما اختلفت مواطن البشر ومهما تباينت لغاتهم.

ولكن الدكتور علي القاسمي الكاتب والباحث العراقي الذي يقيم في المغرب ـ في كتابه الجديد " مفاهيم العقل العربي" ـ يرى أن المفاهيم تتباين من مكان لآخر ومن زمان لآخر، لأن تقطيع الوجود إلى مكونات يختلف من ثقافة إلى أخرى، ولأن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن المفاهيم ونقل المعرفة، وإنما تسهم كذلك في تشكيل المفاهيم وتطويرها، خاصة تلك المفاهيم الدالة على الموضوعات المعنوية والقضايا المجردة.

وهكذا فإن مفاهيم الحياة والحب والموت وأمثالها تختلف في الثقافة العربية عنها في الثقافات الأخرى. فهذه المفاهيم تتكون من تراكم المواقف المتعددة المستمدة من المعتقدات والتقاليد والعادات ، ولا يمكننا تحديد مفاهيم هذه الموضوعات المعنوية إلا باستخلاصها من السياقات التي تستخدم فيها، وعلى الخصوص الأمثال السائرة، والحِكم المتبعة، والأقوال المأثورة، وما يستشهد به أبناء الثقافة من النثر والشعر وتحفظه ذاكرتهم وتتداوله أجيالهم.



وبعد أن جمّع الدكتور علي القاسمي قدراً كبيراً من الأقوال المأثورة التي يحفل بها المخزون اللفظي للغة العربية، ونشرها في كتاب بعنوان "معجم الاستشهادات" (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2001)، قام بتصنيف تلك الاستشهادات وتحليلها واستخلاص بعض مفاهيم الثقافة العربية منها، ونشر نتيجة دراساته في كتاب جديد بعنوان " مفاهيم العقل العربي ".

صدر الكتاب الجديد هذا العام، بطباعة أنيقة عن دار الثقافة للنشر والتوزيع في الدار البيضاء، ويقع في 312 صفحة، وتزين غلافه لوحة للفنانة علياء القاسمي، ابنة الكاتب. ويضم الكتاب خمسة عشر فصلاً عناوينها كالآتي: مفهوم المفهوم، مفهوم الحياة، مفهوم العِلم، مفهوم الوطن، مفهوم الجوار، مفهوم الصداقة، مفهوم المرأة، مفهوم الجمال، مفهوم الحبّ، مفهوم المال، مفهوم الكرم، مفهوم الغربة، مفهوم البكاء، مفهوم الشيخوخة، مفهوم الموت.

وقد حُرر الكتاب بلغة أدبية مشرقة، مرصعة بالشواهد الشعرية والنثرية البليغة. ففي مقدمة مفهوم الجمال يقول الكاتب:

'افتتن الإنسان بالجمال وهام بالحسن منذ القدم. فقد كانت الطبيعة الخلابة والوجوه المليحة تبعث في نفسه الارتياح والسرور واللذة والنشوة. وشحذ الجمالُ موهبته الفنية، فحفر في كهوفه رسوماً بديعة، ونحت تماثيل رائعة، ونظم قصائد خالدة، في محاولة منه لإبداع جمال فني يضاهي الجمال الطبيعي. وقد بلغ افتتان العرب القدماء بالحسن أنهم عبدوا في وثنيتهم أصناماً لنساء جميلات مثل عشتار واللات والعُزى ومناة...'

وعندما يتناول مفهوم الحب في الثقافة العربية، يرى أنه حصيلة ثلاثة أنواع من الحب: الجسدي والعذري والصوفي. وفي حديثه عن الحب العذري، يقول:

'في الصحراء العربية ذات الرمال الذهبية النقية المترامية تحت السماء الصافية الأديم الرائعة الزرقة، يترعرع الحب طاهراً كالغيث، شفافاً كالنسيم، دافئاً كالنور، زاخراً بالمشاعر النبيلة والعاطفة المشبوبة الثرّة الزكية، متقيداً بأخلاق الفروسية وتقاليدها في العفة والوفاء والإخلاص...'

يمنح الكتاب القارئ متعة وثقافة، فهو يجمع بين الفكر والأدب، وينتقل بخفة في حقول الأدب العربي بأجناسه المتعددة وفي عصوره المختلفة.

التعليقات حول الكتب التالية من المحرر ▼

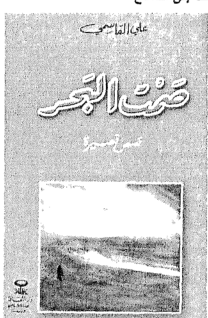
علي القاسمي

رسالة إلى حبيبتي

مجموعة من عشرة قصص قصيرة صدرت عن دار الثقافة في الدار البيضاء عام 2003. المقدمة للأستاذ عبد الكريم غلاب، الذي وصف المجموعة بأنها 'تحمل هموم الكاتب منذ أيام القرية وطفولة النهر وحبّ البطّة، حتى عصر الحبيبة العليلة التي لم يلمسها لعلاجها...' 'وامتازت بعض القصص في المجموعة بالتعامل مع الحيوان والطيور، والوفاء لهذا الجنس من الكائنات.'



ومن قصة أصابع جدّي، الفقرة التالية: 'العجيب في الأمر أنّ جدي كان يولي أهمية قصوى لأصابع اليدين والقدمين، أكثر من أي عضو آخر من أعضاء الجسد. فالأصابع، في رأيه، هي عنوان الصحة والعافية، لأن نبضها يتصل مباشرة بالقلب، وعصبها يمتد رأساً إلى الدماغ...'



علي القاسمي

صمت البحر

مجموعة قصص قصيرة أخرى، إثنتا عشرة قصة هذه المرة، أيضاً عن دار الثقافة في الدار البيضاء

عام 2003. والواقع أن الإنتاج المتواصل للدكتور القاسمي، هو من حظ القراء لأنه يواصل أيضاً مستواه الخلاّق في عملية إبداعية تطوّع اللغة بحيث نلمس روح المتلقي بشفافية متألقة. ومع هذا يبقى أسلوبه سلساً رائقاً. في "الكاتب والمسافرة" يقول: 'انطلق القطار جنوباً. تطلّع الكاتب من النافذة فتراءت له المروج والغيوم تجري مسرعة نحو الشمال، وتتصاعد أنفاسها اللاهثة بسرعة فتتحول إلى ريح غربية تحمل على جناحيها عنفوان البحر وهيجانه.'

عبد الله طاهر

إبل هيرودتس

صدر هذا الكتاب عن دار أزمنة، عمان، عام 2003. كتابة أنيقة تدل على سعة اطلاع صاحبها وعمق ثقافته حضارياً ونفسياً واجتماعياً وتاريخياً. يجمع الكاتب في سرده بين الأسلوب القصصي والصحفي والتقريري، ببراعة وسلاسة قلّ نظيرها.

يضم الكتاب ستة مواضيع نثرية تتداخل فيها أحداث الحاضر بصور تاريخية بطريقة تهكمية أحياناً. جاء في النص "أركيولجيا النقود":

'أزمع بنك "إي بي أن" على التبرع بجائزة نقدية لأرفع القصص إثارة حيث ستدخل في مسابقة محلية يقيمها باسمه. وبينما كان حلم أمي في البصرة أن أرسل لها نفقة الحجّ إلى مكّة، كنت أنا، في أمستردام، أمقت لعبة القمار في القصص المتطفلة على الشأن الشخصي للكاتب. ورغم هذا، فقد قررت الاشتراك، ولكن باسم مستعار...'

وبعد أن يذكر لنا الراوي كيف قرر كتابة قصة عن النقود، يستذكر بعض الأحداث النقدية التاريخية، متذكراً أزمة الدينار العراقي، ثم يقول:

'يحفظ القارئ عبارة: كل نار تصبح رماداً، والعرب تبدأ بالمتحرك وتنتهي بالساكن. ومن خلال رؤية ميتالسانية لهذه العبارة، نكون قد أدركنا بعضاً من المدلول. وهكذا كان. فقد أصبح كل من: البنك الهولندي، ممول المسابقة، وأمين خزانة البصرة، واليهودي، جزءاً من الماضي الغابر. فهذه النظائر الثلاث، التي يؤلف ما بينها بريق النقود، لم تتمكن من تطوير ذاتها وبلورتها لتغدو عناصر لولبية حافرة في بدن قصة مزمعة التركيب. فلا القصة أنجزت. ولا أنا حزت على جائزة. ولا أمي تباركت يدها بلمس حجر إبراهيم...'



عبد الخالق حموي

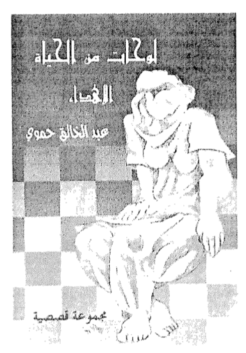
لوحات من الحياة (الإهداء)

مجموعة من خمس وثلاثين قصة قصيرة في 176 صفحة من القطع الوسط، صدرت عن دار التوحيدي، حمص، سوريا، عام 2003.

في قصة "المصير التي نشرتها "كلمات" في

العدد الثاني، والتي جاءت ضمن المجموعة، نقرأ اتحاد مصير المروّض مع النمر فيتفقا على الانتحار سوياً بعد أن وجد صاحب السيرك أنه لا فائدة ترجى من بقاء النمر نظراً لتقدمه في العمر. لكن المروّض كان مخلصاً لصديق دربه:

'نظر المروض في وجه النمر وجلس وركبتاه على الارض مقابلاً النمر. بكى المروض بشدة وأحاط بيده عنق النمر ثم قرب فاه من أذنه وبقيا هكذا لدقائق وسط حيرة وذهول الجمهور وصاحب السيرك.



انفض المروض عن النمر ووقف مخاطباً الحضور بصوت قوي: "عذراً لانني عبثت بالبرنامج المقرر لكن صديقي النمر وافق على هذه التغييرات، وهو يعتذر من الحمير للالتهام أعداداً منها." ثم عاد فجثا مقابلاً النمر، وأخرج من جنبه سكيناً أغمده في نهاية عنق النمر الذي سارع بدوره في إطباق فكيه حول رقبة المروض بتزامن مدهش مع انغماس نصل السكين في عنق النمر.

امتزجت الدماء في أرض الحلبة.'

سوزان إبراهيم

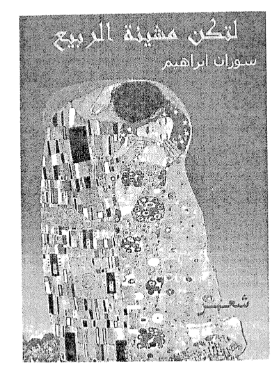
لتكن مشيئة الربيع

مجموعة شعرية، صادرة عن دار التوحيدي، حمص، سوريا، عام 2003. 112 صفحة قطع وسط/صغير.

تقول في قصيدة "كنتَ مشروعَ حزن":

على حين شتاء
باغتني المطرُ
متلبسةً بعينيك
فأيّ الجسور عبرتَها
لتخرجَ منّي
وأبقى لديكَ!

كنايةٌ من مرايا
تحاصرني بألفِ وجهٍ
فمن أينَ تأتي
وكيف غدوتَ
على مرمى قبلةٍ مني!



سوزان إبراهيم

حين يأتي زمن الحب

مجموعة قصصية، صادرة عن دار التوحيدي، حمص، سوريا، عام 2003. 118 صفحة قطع وسط/صغير.

تتسم كتابات سوزان إبراهيم بالواقعية والسلاسة ورقة الشعور. كما أننا نلاحظ توظيفاً رائعاً لألفاظ مألوفة في تعابير معينة، في تعابير جديدة. كقولها 'متلبسة بعينيك' في القصيدة التي ذكرناها أعلاه، و'ارتكاب انتظار جديد' و'يخرج الأعذار من جيوبه' و'تحتسي دمع عينيها' فيما يلي، وهو المقطع الذي تنهي فيه قصة "على قيد انتظار":

'هي تعرف أنه كان من الممكن أن يتصل بها ليقول بأنه سيتأخر. وتعرف أنه عندما سيأتي سيدسّ المفتاح بثقب الباب بهدوء شديد، وحين تفاجئه عيناها اللتان تشيان بكلّ ما تنوي زجّه في قارورة الصمت... سيحاول استدراج أنوثتها بأصابع باردة. سوف يبعثر ثيابه، ويُخرج الأعذار من جيوبه.



رائحة الكلام المتكرر والتبريرات الجاهزة تصيبها بدوار الملل. ستسمع صوته المخدّر بالشراب والدخان والنعاس يقول: - ألا تنامين، ولكن مابكِ؟ وهي تعرف أيضاً أنه لن يتمكن من سماع جوابها. تعرف أنها ستبقى جالسة تحتسي آخر ما تبقى من دمعٍ في عينيها، تنتظر فجر يوم آخر، لتوقظ نفسها، لتعيد ترتيب أشلاء الأمس ولتعاود ارتكاب انتظار جديد.'

ليلى المقدسي

ذاكرة البحر تقرأ

نصوص العزلة

مجموعة نصوص في 212 صفحة صادرة عن دار عبد المنعم، حلب، سوريا، عام 2003.



تقول في "مطر النسيان"، ص 58:

'فررت من كلّ ألوان جراحك لون البياض الشاحب يرتعش مختنقاً ثم يُغلّف الروح بالهدوء التأملي العميق كغابة من ثلوج مترامية، بينا أصابعي

محروقة بشمعة الغفران التي تعاند الانطفاء...'

ليلى المقدسي

الحب في أبجدية الزهور

نصوص وقصص في 134 صفحة من القطع الوسط، صادرة عن دار عبد المنعم، حلب، سوريا، عام 2003.

تتطرق النصوص إلى توظيف أسماء وأحداث تاريخية في السرد، مثل قيس وليلى، وعروة وعفراء، وغوتيه وشارلوت، وبودلير وجان ديفال، إلخ... كما تستشهد أحياناً بأعمال من تتطرق إليهم مثل مقطع من رسالة من جبران إلى مي زيادة (ص 76).



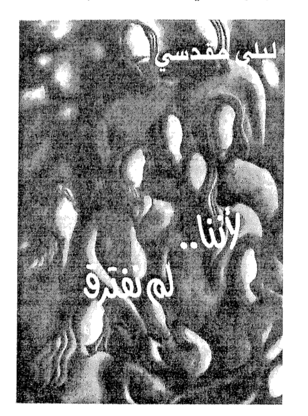
تقول حين تتحدث عن "عريب المأمونية":

'شغف الخليفة المأمون بعريب شغفاً شديداً حتى أزاله عن وقاره. فقد ذُكر أنه خلع في حبّها غدار الخلافة، وقبّل مرّة قدميها فقالت له: لولا ما شرّفها الله من وضع فمك الكريم عليها لقطعتها، ولله علي لا أغسلها لغير وضوء أو طهر إلا بماء الورد ما عشت.

ليلى المقدسي

لأننا لم نفترق

نصوص في 272 صفحة من القطع الوسط، صادر عن دار المقدسي، حلب، سوريا، عام 2003.



من قسم "رسائل بلا تواريخ 1970" وفي الرسالة 72، ص 222، والتي – مع ذلك - ذُيّلت بتاريخ 19 و1969/10/20، تقول:

'أستطيع أن أكتب كثيراً جدّاً في هذه الليلة وحول كل الاحتمالات التي أتصورها في خيالك ولكني والموسيقا التي أسمعها الآن – هدوء الليل

صديقك المحبب – قررنا الاستمرار في تأمل الصورة التي رسمناها لوجهك الطفوح بالغضب الحزين، إن الالحان الكنائسية التي أسمعها الآن عمّقت الصورة ووسعت أبعادها بحيث أراك الآن بجانبي نسير باتجاه المذبح ليباركنا صديقنا المصلوب بأعماق الألم، ومع هذه الصورة المقدسة ساغفو... في زمن الاساطير كان أحدهم يعصر النبيذ للآلهة، ولما انتهى هذا الزمن ظلّ الآلهة في سكرهم، يا زائري الكريم سأكتشف ذات يوم معنى زيارتك المفاجئة، النار تطمس في رمادها... كما يغيب الانفعال في معناه... وإلى أن ينتهي أنين اليقظة ساستمر في صناعة البله.

غالية قبّاني

فنجان شاي

مع مسز روبنسون

11 قصة قصيرة في 106 صفحات من القطع الصغير، صادرة عن دار ميريت، القاهرة، 2003.

غالية قبّاني كاتبة قصة بامتياز. تكتب دون تكلّف، بسلاسة ووضوح، وتضع القارئ مباشرة في اللوحات الإنسانية والاجتماعية التي ترسمها من البيئات التي تفاعلت معها. وهي في جودها في لندن، تمزج بين تجربتها في بلاد ليست بلادها الأصل مع تراث تحمله، وتستفيد منه دون أن يوقف مسيرتها الخاصة في الحياة.

تقول في قصة "فنجان شاي مع مسز روبنسون" التي حمل الكتاب عنوانها:

'تذكر عندما لجأنا إلى هذا البلد هرباً من قمعين، إرهاب السلطة وإرهاب الأصوليين؟ وتتذكر اليوم الذي قدمنا فيه اللجوء هنا، يومها تحدثت بقوة مع الموظف البريطاني المكلف بملفنا، قلت له: "أنا وزوجي وابنتي لن نبقى هنا بعد زوال الأسباب التي تهدد حياتنا بالخطر. نحن لا نحلم ببلادكم كجنة بديلة، بل ملجأ يمنحنا الحياة الآمنة إلى حين." لم يبد عليك الارتياح من ردودي وانتقدتني بعد أن خرجنا، أنني خاطبت الموظف البريطاني كما لو أن وجودنا في بلاده منّة، لا طلباً للأمان. "كان يجب أن تكون نبرة صوتك أخف حدة وأنت تتحدثين اليه." قلت من دون أن تنظر في وجهي ونحن نسير باتجاه محطة القطارالقريبة من وزارة الداخلية في منطقة كرويدن.



انزعجت من الهواء البارد ومن تحاملك عليّ، ورددت بنبرتي إياها التي لم تعجبك: "لكن موظف دائرة الهجرة استجوبنا استجواب المجرمين المتسللين إلى حدود بلاده." تصمت عندما لا يروق لك كلامي، تتركني أحكي وأنفعل، وتلتزم أنت الصمت، تكبّراً. يغضبني صمتك في لحظة مفتوحة على الحوار، فأبدو في حضرة تجاهلك امرأة ثرثارة.'

جاءنا من أحمد فضل شبلول، الإسكندرية ▼

"تموز" مجلة الجمعية الثقافية العراقية في مالمو بالسويد

مجلة "تموز" الفصلية تصدرها، باللغة العربية، الجمعية الثقافية العراقية في مالمو بالسويد، ويشرف على تحريرها د .إبراهيم إسماعيل، ويحررها د. إ براهيم الخميسي، وزهير كاظم عبود، وهيفاء الامين.

جاء في افتتاحيتها للعدد 23: 'تزايدت في الآونة الأخيرة أعمال العنف في بلادنا والتي راح ضحيتها أبناء شعبنا، ودُمرت العديد من منشآتنا التي سلمت من الحرب... إن كل الدلائل تشير إلى أن أيتام النظام البائد وقوى خارجية دخلت وتدخل العراق بطرق غير شرعية هي التي تقوم بمثل هذه الأعمال الإجرامية التي هدفها هو استمرار الفوضى في البلد وعرقلة عملية إعادة الإعمار وبناء مؤسسات الدولة...'

ثم يتحدث الشاعر عدنان الصائغ تحت عنوان "مقاربات بين الكتابة والديمقراطية" عن حوار المسدس، والمثقف والاغتيال، والمنفى والرأي الآخر. وعن الكاتب في ظل نظام قمعي يتحدث إبراهيم أحمد عن الديمقراطية بين السياسي والمثقف، والحديث جزء من محاضرة ألقاها الكاتب في مدينة غوتنبرج السويدية عام 2001. وعن أزمة الحرية والديمقراطية في المجتمع والدولة يتحدث د. حسن حنفي، ثم يكتب زهير كاظم عبود عن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ويتحدث فاخر جاسم في مقاله عن الديمقراطية ومفهوم تداول السلطة. أما د. علي حرب فيتناول آليات الحجب، حيث يمارس النص حجبا مضاعفا، إذ هو يحجب ذاته، كما يحجب ما يتكلم عليه. وفي مقاله "هموم ديمقراطية" يتحدث د. إبراهيم إسماعيل عن الديمقراطية واليسار، والديمقراطية والليبرالية العراقية، ومَنْ يناهض الديمقراطية.

أما الديمقراطية وخطاب الإبداع العراقي وسلطة الثقافة وثقافة السلطة، فيتحدث عنها د. حسين الأنصاري.



وفي مجال الإبداع الشعري نشرت "تموز" قصائد لكل من الشعراء: طالب عبد العزيز، وبهاء الدين رمضان، وعلي ريسان، وأحمد فضل شبلول، وسعد الياسين، ووثام ملا سليمان، وسعد الواسطي. كما نشرت قصة لزهراء حسن بعنوان "قفل في حضرة العباس". ومن الشعر السويدي ترجم ملاك مظلوم قصيدتين لآرنه زارينغ.

وفي قراءة لبعض أعمال الفن التشكيلي يكتب د. حسن السوداني تحت عنوان "كوكب من زجاج وفساتين من اللحم الأحمر النّيِّ".

وتحاور المجلة العالم الفيزيائي العراقي إبراهيم ميرز الخميسي الذي استقبل يوم 9 نيسان/أبريل بالفرح والحزن معا، وكان للفرحة أن تكون كبيرة لو أن الشعب وقواه الوطنية هي التي أنهت إلى غير رجعة النظام الجائر.

وعن الشرعية الدولية بين المفهوم الحقيقي والسلوك الفعلي يتحدث محمد عنوز، منهيا صفحات المجلة البالغة 82 صفحة من القطع الصغير. توجتها لوحة الغلاف الأمامي للفنان ستار كاوويش، ولوحة الغلاف الأخير "كوكب المريخ" للفنان حقي جاسم.



Kalimat

Kalimat is a fully independent, non-profit periodical aiming at celebrating creativity and enhancing access among English and Arabic speaking people worldwide.

Two issues are published in English (March & September), and two in Arabic (June & December).

Deadlines: 120 days before the first day of the month of issue

Kalimat publishes original unpublished work in English or Arabic. It also publishes translations, into English or Arabic, of work that has already been published. It does not accept translations of unpublished work.

Writers contributing to *Kalimat* will receive free copies of the issues in which their writings appear. Their work might also be translated into Arabic or English, and the translations published in *Kalimat* or other projects by the publisher or his contacts in the Middle East. No other payment is made.

Single issue for individuals: $20 in Australia & NZ
$40 overseas (posted)

SUBSCRIPTIONS (All in Australian currency)

For individuals
Within Australia & NZ: $60 per annum (four issues) posted
Overseas: $120 per annum (four issues) posted
(Half above rates for either the English or Arabic two issues)

Organisations & Businesses: double above rates in each case

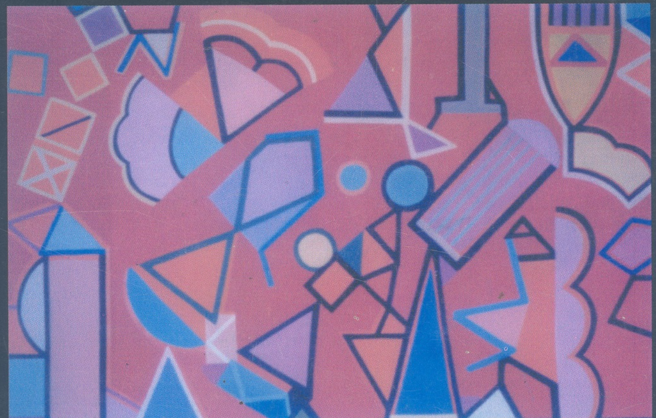
All overseas payments must be made by bank draft in Australian currency
(Please make your cheque payable to *Kalimat*.)

SPONSORSHIP is open to individuals and organisations that believe in the value of *Kalimat*, and the cultural and aesthetic principles it is attempting to promote. Their sponsorship does not entitle them to any rights or influence on *Kalimat*.

Sponsorship starts at $400 per year for individuals, and $2000 per year for organisations. Sponsors' names appear on page 2, and they are entitled to full subscription and one free advertisement per year.

All correspondence to: P.O. Box 242, Cherrybrook, NSW 2126, Australia.





ليونورا هاولت

"من الحافّة"(أعلى) و"هنا+هناك-هذا+ذلك". ألوان مائية على الورق.

Leonora Howlett

From the Edge (top)* and *Here+there-this+that.
Both water colour on paper.